

روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

الرجل الآخر



www.helmelarab.net

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة اخبارات العامة لقب (رجل المستحيل)

د. نيل فاروق

١ - البديل ..

غلف الظلام تمامًا تلك القاعة الواسعة ، المحاطة بمجدران من الزجاج المضاد للرصاص ، في قبة مبنى اخبارات العامة المصرية ، وبدت لأعين المراقبين عارجها ، وكأنها هي عالية ساكنة صامتة ، على الرغم من لفتهم بوجود رجل يتحرك داخلها بحفة قط حذر ، حتى انتصب فيها فجأة نخال يشبه رجلًا يمسك مسدسه ، مع وميض أشبه بفلاش تصوير سريع ، أعقبه صوت رصاصة مكشومة ، انطلقت من مسدس مزود بكاتم للصوت ، اتبع وميضها من مصدرها ، قبل أن يتناهى إلى مسامع المراقبين صوت ارتطامها بالنخال ، ثم أعقب ذلك انتصاب نخالين آخرين ، انطلقت رصاصات مسدسهما نحو مصدر الرصاصة الأولى ، إلا أن رصاصتين مكشومتين أصابتهما من مصدر آخر ، فسقطا يلحقان بزميلهما ، فطمطم مدير اخبارات العامة ، الذى يراقب ما يحدث من الخارج :

— لا بأس ،

اتسم مساعده انشامة واسعة ، لم يسمح لها الظلام بالظهور على نحو واضح ، وهو يقول :

— بل هو رائع في الواقع ياسيدى ، لقد اجتاز كل
اختبارات الرماية بنجاح يبلغ سبعة وتسعين في المائة ، بالإضافة
إلى إجادته التامة لمعظم رياضات الدفاع عن النفس ، وخمس
لغات حيّة ، و
قاطعته المدير :

— لا بأس .. لا بأس ..

ثم ضغط زرّاً في مسند مقعده ، فأنشئت الحجرة الزجاجية
المظلمة ، وبدأ داخلها شاب وسيم ، مقنول العضلات ، يرتدى
قميصاً خفيفاً ، على الرغم من برودة الجو في هذا الوقت من
فصل الشتاء ، وترسم على شفاهه ابتسامة والفة مزهوة ،
لنجاحه في اجتياز الاختبارات حتى نهايتها ، وتطلعت عيناه إلى
مدير التقارير ، وهو ينهض من مقعده ، ويشير إليه بسباته ،
ثم اتجه نحو باب القاعة الزجاجية ، وفتحها وهو يدمى مسندسه
في غمده ، ومساعد المدير يقول في مجلس :

— إنه أيضاً يجيد قيادة معظم المركبات : البريّة والبحريّة
والجويّة ، ويجيد التّكرّر على نحو جيّد ، و
زفر المدير في أسى ، وهو يقول :
— ولكنه لن يبلغ حتى نصف مهارته هو .

عقد مساعدته حاجيه ، وهو يقول في ضيق :
— اسمح لى ياسيدى .. إننى لست ممن يعشقون الميث مع
ذكريات الماضي .
التفت إليه المدير في صمت ، فتابع المساعد فى شيء من
العصبية :

— عجلة الحياة لن تتوقف ، ومخبرائنا تحتاج ذوقاً إلى رجل
متميّز ، لتلك المهمّات التى لا تصلح إلا لرجل واحد ، وأنا أعلم
كما يعلم الآخرون أنا كئنا غمك فيما مضى أفضل رجل في العالم ،
في هذا المجال ، ولكنه لقي مصرعه في (المكسيك) منذ ما يزيد
على العام ، وليس من المنطقي أن يبقى مكانه شاغراً ، فجرد أنا
نعمز عن نسيان عبقريته وموهبته ومهاراته .
ثم لوح بيده تجاه الشاب الوسيم ، الذى وقف صامئاً ،
واستطرد :

— ها هو ذا البديل .. شاب يمتلك مهارات مذهشة ،
بالتسبة لعمره ، على الرغم من أنه لم يحصل على نفس تلك
الفرصة ، التى حصل عليها المعجزة السابق ، بأن يبدأ مرانته في
الثالثة من عصره .. ها هو ذا شاب يفوق أقرانه ، ويستحق عن
جدارة لقب (ن - ٢) .

زهر المدير مرة أخرى ، وألقى نظرة طويلة على الشاب
الوسيم ، وهو يقول :
— أعلم ذلك .. ولكننى لا أستطيع نسيان (أدهم
صبرى) فى سهولة .. ولو أنك عملت معه ، مثلما فعلت أنا ،
ما اختلف شعورك كثيرا .

ثم قال للشاب :
— تقدم يا حنى .
اتجه الشاب إليه فى لحظات قوية والثقة ، وقال وابتسامته
لم تفارق شفاهه بعد :

— الوالد (حسام) فى خدمتك يا سيدي .
أوما المدير برأسه ، على نحو بدا وكأنه لا يفتنى شيئا ، ثم
قال :

— أنت الآن لثانى رجل يحمل حرف (النون) فى تودوه
السرى ، بالنسبة لإدارتنا ، بعد رحيل (ن - ١) .. أنت منذ
هذه اللحظة تحمل لقب (ن - ٢) .
وزهر مرة ثالثة ، قبل أن يضيف :
— أنت بديل (رجل المستحيل) .

أوقفت (منى توفيق) سيارتها الصغيرة فى المكان المخصص
لها ، فى فناء مبنى المقابرات العامة ، وهبطت منها فى ببطء ، وهى
تتردى معطف مطر أنيقا ، وبدا ذلك الحزن المرتسم على وجهها
وكأنها انخر مع ملاحظتها ، فصار جزءا من تكوينها ، وهى تدس
يديها الرقيقتين فى جيبى معطفها ، وتوجه إلى المنى ، ثم تنحرف
داخلة عبر ممر طويل ، قاده إلى حجرة تحمل اسم : « حجرة
المعلومات الخاصة » ، ودققت بابها فى هدوء ، ثم دفعت الباب ،
ودلقت إلى الحجرة ، وقالت للرجل الجالس على المكتب المواجه
للباب ، أمام جهاز كمبيوتر :

— صباح الخير يا (صبحى) .
قال الرجل دون أن يرفع عينيه إليها ، وكأنها اعتاد الأمر :
— صباح الخير يا سيادة الرائد .. تفضل .
جلست على المقعد المجاور له ، وحملت عنها مزيجها من
الأنهية والقلق والترقب والخوف ، وهى تسأله :

— هل من جديد ؟
رفع عينيه إليها فى ببطء ، وارتسم فيهما شيء من الشفقة
والعطف ، وهو يقول :
— أتوقعين ذلك حقا ؟

لُوحِتْ بِكُلِّهَا ، قَائِلَةٌ فِي تَوَكُّرِ :

— وَلِمَ لَا ؟

تَهْدُ قَائِلًا :

— أَعْلِمُ أَنَّ فَقْدَانِ مِنْ نَحْبِ أَمْرِ عَسِيرٍ شَاقٍ يَاسِيدِي ،
وَلَكِنَّهُ وَالْعَمَلُ عَلَى الرِّغْمِ مِنْ مَرَاتِهِ ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَقْبَلَهُ صَاحِرِينَ .
الْجَمْعُ الدَّمْعُ فِي عَيْنِهَا ، وَهِيَ تَقُولُ بِصَوْتٍ مَحْشَرَجٍ :
— مِنْ يَدْرِى ؟ .. رُبَّمَا ..

قَاطِعُهَا مُشْفَقًا :

— رُبَّمَا مَاذَا يَاسِيَادَةُ الرَّائِدِ .. لَقَدْ لَقِيتُ بِيَادَةَ الْمُقَدَّمِ
(أَدْهَمُ صَبْرِي) مَصْرَعَهُ مِنْذُ عَامٍ وَثَلَاثَةِ شُهُورٍ كَامِلَةٍ ، فِي
الْفَجَارِ مَرْوُوعٍ ، لَا يُعْقِلُ أَنْ تَنْجُو مِنْهُ حَشْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَقَدْ
النَّقْطُ رَجَالَنَا صُورَةً لِلْجَبَلِ الَّذِي كَانَ دَاخِلَهُ ، وَقَدْ نَحَوَّلَ بَعْدَ
الْإِنْفِجَارِ إِلَى كُوْمَةٍ مِنَ التُّرَابِ ، فَكَيْفَ يَنْجُو رَجُلٌ مِنْ هَذَا بَاقَةٍ
عَلَيْكَ (٢٠)

تَرْفُقُ الدَّمْعُ فِي عَيْنِهَا ، وَانْحَدَرَتْ دَمْعَةٌ سَاحِخَةٌ تَلْهَبُ
وَجَنَّتِهَا ، وَهِيَ تَغْمِغُ :

— إِنَّكَ لَا تَعْرِفُ (أَدْهَمُ) .

(٢٠) رَاجِعْ قِصَّةَ (وَكَرَّ الْإِرْعَابِ) .. الْمَعَامِرَةُ رَقْمُ (٨٠) .

هَتَفَ :

— كُلُّنَا كُنَّا نَعْرِفُهُ ، وَنَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ بِالرَّجُلِ الْعَادِي ،
وَلَكِنَّهُ عَجْرُدُ بَشَرٍ ، وَكُلُّ الْبَشَرِ يَمُوتُونَ .. طَالَ الزَّمَنُ أَمْ قَصُرَ ..
كُلِّهِمْ .

انْهَمَرَ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِهَا فِي غُرَارَةٍ ، وَهِيَ تَقُولُ :
— مِنَ الصَّعْبِ أَنْ أَصْدُقَ هَذَا أَوْ أَسْتَرْعِهِ .. لَقَدْ وَاجَهْتُ
مَعَ (أَدْهَمِ) أَهْوَالًا ، كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يُلْقَى مَصْرَعُهُ فِي كُلِّ
مِنْهَا أَلْفَ مَرَّةٍ ، وَلَكِنَّهُ نَجَا ، وَ
قَاطِعُهَا :

— وَلِكُلِّ شَيْءٍ نِهَايَةٌ .

ازْدَادَ انْهَمَارُ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِهَا ، فَأَضَافَ فِي لَحْفَوْتِ :
— إِنَّهَا مِئَةُ الْكَوْنِ .

نَهَضَتْ فِي بَطْنِهَا ، وَقَدْ اكْتَسَى وَجْهُهَا كُلَّهُ بِالدَّمْعِ ، وَهِيَ
تَتَمَمُّ فِي شُخُوبِ :

— نَعَمْ .. إِنَّهَا مِئَةُ الْكَوْنِ .

تَابَعَهَا بِعَيْنَيْهِ فِي إِشْفَاقٍ ، وَهِيَ تَتَاضَرُ مَكْبِيَةً مَتَرَلِحَةً
كَالْمُسْكِرَى ، وَهَزُّ رَأْسِهِ وَهِيَ تَفْلُقُ الْبَابَ خَلْفَهَا ، وَقَالَ فِي
عَطْفٍ :

— ياله من حُب !

أما هي ، فقد بذلت أقصى جهدها ، تتجسس نفسها من
الانحراف في بكاء ونحيب ، وهي تعبر أروقة الإدارة ، إلا أنها
عجزت تمامًا عن منع ذلك السيل من الدموع ، الذي سال على
وجبتها ، فأسرعت تطرق بابًا ، وتفتحه قبل أن يدعوها صاحبه
للدخول ، ثم تدلف إلى الحجرة ، وتطلق الباب خلفها في قوة ،
قبل أن تلتقي جسدها على أقرب مقعد صادفها ، مع صنف
(قدرى) ، صاحب الحجرة :

— ماذا حدث ؟

لؤحت بكفها ، وهي تشيح بوجهها ، قائلة :

— لا عليك .. لم يحدث شيء ..

اقرب منها في عطف ، ورئت على كفها في حنان ،

هامسًا :

— هل تذكرته ؟

تحتمت باكية :

— إننى لم أنسه بعد ..

رئت على كفها مرة أخرى ، ومنع دموعه في صهوبة ، وهو

يجلس إلى جوارها ، قائلاً :

— ومن يمكن أن ينساه ؟ لقد كان أعظم رجل عرفته في

حياتي كلها ، إننا لن نعوّده أبدًا .

قالت وهي تمسح دموعها :

— لست أدري لماذا يصير قلبى على أنه ما يزال حيًا يورق ؟

قلب كئيب ، قائلاً في نأس :

— كيف ..؟ وأين ..؟ لقد تشبث رجالنا بهذا الاحتمال كما

تعلّمين ، وانتشروا بجميع المعلومات ، بعد انفجار وكر

(بالشو ميلازر) ، ولكن حقيقة واحدة لم تُشير إلى بقاء

(أدهم) على قيد الحياة .. صدّقنى إن حزنى يضارخ حزلك ،

ولكننى أعلم أنه مامن وسيلة لمعادلة القدر .. لقد لقى (أدهم

صبرى) مصرعه ، بعد حياة حافلة ، وبنهاية مشرقة ، ومن

الضرورى أن نقبل هذا ، على الرغم من حزننا وآلامنا ..

قاطعه صوت يقول في هدوء :

— أليس كذلك ؟

أدار الاثنان عيونهما إلى الباب ، حيث يصدر الصوت ،

وبدا ضبا الرائد (حسام) بقامته المشوقة ، وملاحه

الوسيمة ، لفصفت (منى) في عدوانية واضحة :

— ماذا تريد ؟

دلف إلى الحجرة في هدوء ، وأغلق بابها خلفه في رفق ،
ثم جذب مقعداً ، وجلس في مواجهة (منى) غاماً ، وتطلع إلى
عينها مباشرة ، وهو يقول :

— أريدك أنت .

قالت في عصبية :

— أى قول سخيف هذا ؟

اجسم في هدوء ، وكأنها يقدر مشاعرها ، وقال :

— أغشى أنسى كنت أبحث عنك .. لقد أخبروني أنك كنت

تسعين في الممر باكية ، ثم دلفت فجأة إلى حجرة عزيزنا
(قدرى) ، فأثيت لأطمئن عليك .

قالت متوترة :

— شكراً لك .

لزم (قدرى) الصمت غاماً ، واكفى بمراقبتها ، في حين
تطلع (حسام) إلى عيني (منى) لحظات في صمت ، قبل أن
يسألها في هدوء :

— لماذا تكرهينى يا (منى) ؟

هضت :

— أكرهك ؟! .. ما الذى دفع تلك الفكرة الحمقاء في

رأسك ؟

أجابها في هدوء :

— أنت .. أسلوبك العدواني في التعامل معى .. عصبك

الزائدة كلما التقينا أو تحدثنا .. أعود هذا إلى أنسى بديله ؟

عقدت حاجبها ، قاللة في جدّة :

— بديل من ؟

أجابها بنفس الهدوء :

— بديل (أدهم صبرى) .. بديل (رجل المستحيل) ..

هضت في ثورة :

— بديله ؟! .. أنت وإهم لو تصوّرت هذا .. أنا وحدى

أعلم من هو (أدهم صبرى) .. أنا وحدى رأيت كيف يعمل ،

وكيف يسخر من الخطر والموت .. اسمع يا رجل .. لقد كان

(أدهم صبرى) فلقنة .. معجزة .. شيء لا يتكرّر أبداً في الجليل

الواحد .

اجسم وهو يقول :

— ومن أنكر هذا ؟

ثم مال نحوها ، مستطرداً :

— ولكنه لم يُغد يتصمى إلى هذه الحياة ، ولست من هواة

عبادة الأصنام .. لقد مات (أدهم) يا (منى) .. مات ولن

يعود إلى عالمنا مرة أخرى .. أفهمن ؟

المحدث دموعها مرة أخرى ، وهي تهتف :

— لا .. لا تقبل هذا .

أمسك معصمها بفتة في قوة ، قائلاً في حزم :

— لا أفارق بين قوله أو كتابه .. إنها الحقيقة يا (منى) ..

الحقيقة التي ترضين الاعتراف بها ..

غمغم (قدوى) في حزن :

— إنه على حق .

استدارت (منى) إليه في حدة ، وهتفت مستكرة :

— حتى أنت !!

قلب قلبه ، قائلاً في مرارة :

— ومن يملك نفى القدر ؟

حدقت في وجهه الحزين لحظة ، ثم التفت إلى (حسام) ،

وقالت وهي تجذب معصمها من قبضته :

— حسناً .. هلاً تركت معصمي ؟

استجاب لمطلبها في بساطة ، وظل يطلع إلى وجهها ، وهو

يقول هامساً :

— أعلمين أنك فائنة حقاً ؟

ومفتة بنظرة استنكار ، وهي تقول ساعطة :

— ماذا تقول ؟

أجابها مبتسماً :

— أقول إنك جميلة حقاً ، ولكك تدفين جمالك هذا خلف

ذلك القناع الكتيب ، حتى ليكاد الناظر إليك يخطئ في تقدير

عمرك الحقيقي ، ويضيف إليه عشر سنوات كاملة .

قالت في عصبية :

— اسمع يا (حسام) .. ماذا تريد مني بالضبط ؟

أجابها واتصامته صبح :

— أريد أن أحمل ما لم يقبله (رجل المستحيل) .

وملأت اتصامته وجهه كله ، وهو يضيف :

— أن أتزوجك .



٢ - معجزة ..

مضت دقيقة كاملة ، و (قدرى) و (منى) يخلقان في وجه (حسام) ، ولى ابتسامته التي تملأ وجهه كله ، قبل أن تهبط (منى) مستكرة :

— تتزوجى أنا ؟

ضحك قائلاً :

— بالتأكيد .. إننى لن أتزوج (قدرى) ، ولا يوجد سواكم معى هنا في الحجرة ، لأوجه إليه حديثى .

مضت لحظة أخرى من الصمت ، قبل أن تفجر (منى) في غضب مكثرة :

— أريد أن تتزوجى أنا ؟

هز كتفيه ، وقال :

— ولم لا ؟ .. إننا متقاربان عمراً ، وأنا أجدك فتاة مثالية ، ثم إننى قد اجتزت الاختبارات كلها بنجاح ، وأصبحت أحمل لقب (د - ٢) .

هبطت مستكرة :



مضت دقيقة كاملة ، و (قدرى) و (منى) يخلقان في وجه (حسام) ، ولى ابتسامته التي تملأ وجهه كله .

ثم ماتت هي نحوه ، قائلة في عصية :

— أنقضى أحيت (أدهم صبرى) ، لأنه كان يحمل لقب

(ن - ١) ؟

قال ميسفا :

— ليس من أجل القلب بالتأكيد ، ولكن للأسباب التي

منحه إياه .

هتكت :

— خطأ .. إننى لم أحب (أدهم صبرى) لأنه كان قويا

أو صديقا ، أو لأنه كان يجيد عدة مهارات وقدرات ، أو

يتحدث عدة لغات .. لقد أحيت (أدهم) لأسباب لن تفهمها

أبدا .

قال في هدوء :

— اشرحها لى .

ارتبكت بعض الشيء ، وهى تقول :

— إن (أدهم) لم يكن ... لم يكن مجرد رجل مخبرات

مدهش ، يفوق كل أقرانه في هذا المجال فحسب ، بل كان إنسانا

له قلب من ذهب .. كان يتحس جراحك بلمسات

حانية ، بنفس اليد التي تحطم قبعتها العملاقة .. كان يحنك

بابتسامة الأمل والحب ، بنفس القدر الذي يمنح بها أعداءه

الغضب والخوف .. إن (أدهم) لم يكن رجلا عاديا .. لقد

كان فارسا ، يجمع بين كل الصفات الجميلة في الدنيا .. كان

يحب (مصر) ، بقدر ما يكره أعداءها .. كان لا يقتل

الإدفاغا عن نفسه ، وعندما تحتم الأمور ذلك بلا بدائل .. كان

يجمع كل المتناقضات في آن واحد .. يكره ويحب .. يضرب

ويحنو .. كان رجلا في زمن ندر فيه الرجال .

قال في هدوء :

— ومن أدراك أنى لست كذلك ؟

تطأمت إليه لحظات في خيرة ، متتمة :

— أنت !؟

بعض قائلا :

— نعم .. أنا .. اسمعى يا (منى) .. إننى أطلب منك

الزواج رسميا ، أمام صديقنا (قدرى) ، وأعلن لك أنى لست

أغار من (أدهم صبرى) ، فلا أحد يفار من رجل ميت ..

فكرى في الأمر ، وسانظر .

قال كلماته وغادر الحجرة في هدوء ، وأطلق بابها خلفه ،

فأدارت (منى) عينيها إلى (قدرى) وهى تقول مستكرة :

— يتزوجى أنا ١٢ —

تطلع إليها (قدرى) لحظة مشفقاً ، ثم خفض عينيه ، قائلاً :

— ولم لا ؟

هفت :

— لم لا ١٢ .. سأخبرك أنا لم لا يا (قدرى) .. لأننى

ما زلت أحب (أدهم صبرى) ، ولن أتزوج سواه .. هل

فهمت ؟

وبهت من مقعدها فى حركة حادة ، وجذبت الباب فى

قوة ، مستطردة :

— ولتذهب كل نظريات الحياة إلى الجحيم .

وأغلق الباب خلفها فى قوة ، فرفع (قدرى) عينيه إلى

الباب المغلق ، وضح أخيراً لدمعة خبيثة أن تفر من مقعدها ،

وسيل على وجهه ، وهو يهضم :

— ومن يساه يا بيتى ؟ من يساه ؟

وتفجرت دموعه بلا انقطاع ..

لم تذر (منى) كم عملت ، ولا كيف عملت فى ذلك اليوم ،

ولكنها ارتدت نعطف المطر الحاصل بها ، وهفت

٢٢

بالانصراف ، كانت المحال التجارية قد أغلقت أبوابها ، وكانت

الشوارع قد خلت من المارة تقريباً ، فانجهت هى نحو سيارتها ،

وحاولت إدارة محركها ، إلا أن السيارة لم تستجب مطلقاً ،

فعمست هى فى حنى :

— ماذا أصاب هذه السيارة الكريمة ١٤

فجأة ، باعها صوت (حسام) ، وهو يتحنى عند نافذة

السيارة ، قائلاً :

— ربما فرغت بطاريها ، فلقد نسيت ضروعه مضاء منذ

الصباح .

التفت إليه فى حنى ، وهى تقول :

— ولم لم تنهني إلى ذلك فى الصباح ؟

ابتسم قائلاً :

— لقد نسيت .

جذبت مفتاح السيارة فى حدة ، وألقته فى جيها ، وهى

تفادرها قائلة فى عصبية :

— لا بأس .. سأبحث عن واحدة من سيارات الأجرة .

أخرج مفاتيح سيارته من جيها ، وهو يقول مبسفاً :

— يمكنكى أن أوصلك .. ومجاناً .

٢٣

قالت في حدة وحزم :

— لا .

كانت تتوقع منه إصراراً ، إلا أنه اكفى برز كفيه ، قائلاً :

— كما يحلو لك .

ثم اتجه إلى سيارته ، وانطلق بها ، ملوفاً يده ، هاتفاً :

— إلى اللد .

أستحقها أن يتركها وحدها هكذا ، وسط المطر ، إلا أنها لم

تلبث أن غمغت في صرامة :

— ولو .

وغمادرت المني على قدميها ، ودمت كفها في جيب

معطفها ، وراحت تسر تحت الرذاذ صامتة ..

وتذكرت (أدهم) ..

إنها دوماً تذكره ..

لم تسنأ أبداً ..

لم تفارق صورته رأسها لحظة واحدة ، منذ انفجر به وكر

(بانشر) منذ عام وربع العام ..

ومن قلبها انحدرت دمعاً ..

لقد كانت تحبه حقاً ..

تحبه من أعماق أعماق روحها ..

ول تلك اللحظة ، شعرت بندم هائل لأنها لم تتزوج ،

وراحت تلوم نفسها على رفضها غير المنطقي له ، عل الرغم

من خيها الشديد ..

ووجدت نفسها تنعم باكية :

— آه .. لو تعود !!

اخططت دموعها بقطرات المطر ، والصق شعرها المتبل

بجيبها ورأسها ، وقد انشغلت بأفكارها وذكراتها ، فراحت

تقطع الطريق سائرة على غير هدى ، حتى أيقظتها بقة صوت

أجنس يقول :

— إلى أين يا فانتسى ؟

انتهت فجأة إلى ستة شبان يعرضون طريقها ، ووجوههم

تحمل ابتسامة خبيثة ، فقالت دون خوف :

— ماذا تريد يا هني ؟

أخرج من جيبه مديرة ذات تصل حاذ ، وراح يحركها أمام

وجها ، وهو يقول بتلك اللهجة الخبيثة القسوة :

— غشني ماذا تريد ؟

فجأة ، تحوّل كل الغضب المكبوت في قلبها تجاه هؤلاء

الشبان ..

ولاريب أن ذلك الشاب سيقفل بخشى الفتيات طيلة عمره ، بعد أن تحركت قبضة (منى) فجأة ، بكل الغضب الرافد في أعناقها ، وغاصت في معدته كالقذيفة ، قبل أن تمسك قبضتها الأخرى بمعصمه ، وتلويه في حركة مباغتة ، لتجبره على إسقاط مديته ، ثم ترفع قبضتها الأولى ، لتبشّم بها مبتئين من أسنانه الأمامية ، في لكمة عذبة ..

وتغفر الشبان الخمسة الآخرون ، على الرغم من دهشتهم وخوفهم مما أصاب رفقهم ، وهطت بهم (منى) :
— أمتشرون القتال ؟ .. هيا .. أروني قوتكم في مواجهة لقاة وحيدة .

توّد الشبان الخمسة ، ما بين الحروف والغضب ، ثم شهّز كل منهم مديته في حركة حاذقة ، وراحوا يلتفتون حول (منى) ..

وهنا فقط أدركت (منى) أنها لن ترمح المعركة .. لن يتمكنوا أبدا الفوز على خمسة شبان مسلحين بمفردها .. وتراجعت في تولّو ..
ولجأة ، برز من وسط الظلام شبح ممشوق القوام ، القنّ على الشبان الخمسة كالمصاغة ..

وقبل أن يدرك الشبان الخمسة ما حدث ، كان فلك أحدهم قد تحطّم بلكمة كالقذيفة ، وهبطت كل أسنان الثألي بأخرى ساحقة ، وكان الثالث يتلوّى من مطرقة حديدية غاصت في معدته ، والرابع ملقى فاقد الوعي ، وقد استحال أنفه إلى كومة من اللحم المفري ، في حين نجح الخامس في أن يشهّر مديته ، ولكن مهاجمة أطاح بالمديّة بلكمة عنيفة ، ثم رفع قدمه ليركل وجه الشاب ركلة انفجرت بدويّ مكروم ، قبل أن يسقط الشاب الأخير أرضا ..

وعحق قلب (منى) في قوة ، وهي تحاول احتراق حجب الظلام ، فتميّز وجه منقذها ، وهي تعغم :

— (حسام) ؟ .. أهو أنت ؟ .. أهو أنت يا (حسام) ؟
ارتجف قلبها بين منلوغها ، واتسعت عيناها في ذهول ، عندما أتاها صوت لم تسمعه منذ عام وزبح العام ، يقول في حنان :

— بل هو أنا يا (منى) .
وفي نفس اللحظة ، اتّلع البرق في السماء ، وسقط وميضه على وجه منقذها ، فشبهت (منى) في قوة ، وهطت :

— مستحيل !!
ثم سقطت فاقدة الوعي بين ذراعيه ..
بين ذراعي (آدم صبري) ..

٣ - عودة البطل ..

فراغ وهيب ممتد إلى مالا نهاية ..

(منى) تعلمو ..

أقدامها ثقيلة ..

ساقاها تفوصان في بحر سميك خفي ..

وبكل الدعر في أعماقها ، رآته أمامها ..

رأت (أدهم) ، يمد لها يده ، ويتف باسما ..

ومدت يدها إليه ..

ورآته يتعد ..

جمعت كل لزعها في لسانها ، وحاولت أن تصرخ باسمه ..

حاولت .. وحاولت ..

وهو يتعد .. ويتعد ..

وأخيرا انطلق اسمه ..

صرخت باسمه بكل قواها ..

وهبت جالسة على فراشها ، مع صوت أمها المشفق ،

ويديها الخائبتين ، وهي تدفع كفيها في رفق ، محاولة إعادتها

إلى الفراش ، متمتعة :

— زؤندك يا بنيتي .. زؤندك .. كل شيء على مايرام ..

اطمئني ..

فتحت (منى) عينيها ، وتطلعت في مزيج من الدهشة

والخيرة إلى حجرة نومها ، ثم دلفت وجهها بين كفيها ،

والفجرت بكاء حار ، وهي تقول :

— نفس الحلم يا أمّاه .. نفس المشاهد .. أحلم بأنني أقع

في مازق ، ثم يظهر هو فجأة ، كما كان يفعل طيلة عمرنا ، وينقض

على الأعداء ، ويحطمهم بقبضته ، ثم يفتح ذراعيه لي ،

فأسقط بينهما فاقدة الوعي .. نفس الحلم يا أمّاه .

ضمتها أمها إلى صدرها في حنان ، وهي تلمسهم :

— لن يعاودك هذا الحلم تغد يا بنيتي .. كل شيء سيسير

على مايرام .. كل شيء .

انخرطت (منى) في بكاء حار ، وهي تقول :

— ولكنني أشعر أنه على قيد الحياة يا أمّاه .. مازال قلبي

ينتظره ..

رُبعت أمها على كتفها مشفقة ، وهي تتمم :

— إنه كذلك يا بنيتي .. إنه كذلك .

دفعت (منى) جسدها بعيدا عن صدر أمها ، وحطت :

— إذن فأنت تصدِّقين مشاعري أخيراً يا أمّاه .. تصدِّقين ما ينضّ به قلبي .

غمضت أمها ، والخيرة غملاً عينيها :

— لقد كانت مفاجأة مذهلة لي حقاً يا بني ، ولكن

اتسعت عينا (منى) ، وأسكت كفتي أمها في قوة ، وهي تهبط :

— مفاجأة مذهلة ١٢ .. ماذا تصدِّقين يا أمّاه ١٣ .. ماذا

تغنين ؟

أناها صوتها الخنون الدالّ القوي ، من عند باب حجرتها ، وهو يقول :

— ترفقي بأفكك يا (منى) .

أدارت عينيها ورأسها إليه في حركة عفيفة ، كادت تقطع عنقها من جذوره ، وحذقت في وجهه الذي يحجبه الظلام ، وارتجفت صوتها مع ارتعاده جسدها ، وهي تفهم :

— (أدهم) ١٤ .. أهوانت ١٥ .. أهوانت يا (أدهم) ١٦

تقدم (أدهم) بضع خطوات ، ليسقط الضوء على وجهه ،

وارتجفت قلب (منى) بين ضلوعها في فرح أسطوري ، وهي

تأمل وسامتة وابسامته العذبة في وجد ، قبل أن تسيل الدموع

من عينيها ، متعممة :

— مستحيل ١٧ .. لا ريب أنه حلّم .. حلّم جميل ١٨

قطع المسافة التي تفصله عنها بخطوة واحدة ، واحسن كفها الرقيقة براحيه ، وهو يقول في صوت ملؤه الدفء والحنان :

— بل هي حقيقة يا (منى) .. إنه أنا .. أنا (أدهم

صبري) ، بشحمه ولحمه ودمه وأعصابه .. هو أنا

يا (منى) .

سالت الدموع من عينيها ، وهي غملاً بصرها بوجهه ،

قائلة :

— أهوانت حقاً ١٩ .. يا إلهي !.. لقد كان قلبي على حق ..

لم تكذّبي مشاعري أبداً . أنت على قيد الحياة .

اجسم في حنان ، قائلاً :

— لم يَجُنْ موعد فراقنا بعد يا عزيزي .

انهمرت الدموع من عيني الأم ، وهي تراقب ذلك

المشهد ، وقالت تحاول إخفاء ضعف أمومتها الغريزي :

— لا ريب أنك تحتاج إلى قهح من القهوة يا سيّد

(أدهم) .

أجابها (أدهم) مبسماً :

— إنني ألقو إليه بالفعل .

أسرعت الأم تغادر الحجرة ، متعلّلة بإعداد القهوة ، في حين همست (منى) في سعادة :

— أين كنت ؟ .. أين اختفيت طيلة عام وربع العام ؟
غصم :

— إنها قصة طويلة .

هضت في لحظة :

— أين ذهبت بعد انفجار وكر (بانشو) ؟

ترك كفها في رفق ، وبهض متجهها إلى نافذة الحجرة ، وراح يتطلع منها إلى قطرات المطر ، التي تصافق على الزجاج ، قبل أن يقول :

— إننى لم أفارق (المسكيبك) يا (منى) .

هضت في دهشة :

— عجباً !!! لقد بحث عنك رجالنا في كل شبر من
قاطعها :

— كنت في بلدة صغيرة ، بالقرب من (كيواوا) .

حدّثت فيه لحظة في دهشة ، ثم قالت :

— وماذا كنت تفعل هناك ؟

تهدّ قائلاً :

— ألم أقل لك إنها قصة طويلة ؟

زاد عليها الصمت لحظات ، راحت هي خلالها تتأمل في هيام وسعادة ، حتى وقعت عينها على أصابع يده اليسرى ، فارتجف قلبها ، وتجمّدت مشاعرهما كلها ، وبدأ صوتها يارتجفه أشبه بمققاب كهربى يحرق حائطاً من الخرسانة المسلحة ، وهي تقول :

— (أدهم) ! .. هذه الدبلة في إصبعك ١٢ .

بدأ لها صوته مُفَعِّمًا بالأسف ، وهو يقول :

— لقد تزوّجت .

هبط عليها الخبر كالصاعقة ، وانسجت عينها في دُخُول ، وهي تقول في مرارة قاتلة :

— تزوّجت ؟ .. تزوّجت من ؟

احترق الجواب قلبها كخشب من نار ، عندما قال في مرارة :

— تزوّجت (سوليا) .. (سوليا جراهام) ..

مهلاً عزيزى القارئ ..

لا ريب أن كل هذا قد أربكتك ..

ولكن المثل يقول : « يزول العجب ، إذا ما عُرِف السبب » ..

والسبب يعود إلى فترة سابقة ..
 إلى عام وربع العام من الماضي ..
 إلى تلك اللحظة التي أفلقت فيها المليونيرة التي تقل
 (منى) ، من وكر (بالشو ميلازر) في صحراء
 المكسيك (٨٠) ..

فلدغنا نعد إلى تلك اللحظة ..
 ولنبحث عن السبب من البداية ..



(*) راجع قصة (وكر الإرهاب) ... المغامرة رقم (٨٠) -



وإن عليها الصمت لحظات .. راحت هي خلالها تتأمله في هيام
 ومطادة ، حتى وقعت عينها على أصابع يده اليسرى ..

٤ - انفجار ..

كانت لحظة قاسية عيفة ..

كان الزمن يمضي في سرعة ، نحو موعد انفجار ذلك التل ،
الذى اغلده (بانشو سيلازر) وكثرا له ، وكانت الهليوكوبتر
تبعد به (منى) والسفير المصرى ، و (بانشو) يصرخ في
جُثون أطار عقله :

— لا فائدة أيا الشيطان المصرى .. لقد انتهى كل شيء ..

سمعت معا ..

تطلع (أدهم) إلى الهليوكوبتر ، التى تبعد في سرعة ، ثم
جذب إليه (بانشو) في قوة ، وقال في صرامة :

— اسمع أيا الوغد .. أمثالك لا يقطعون أنفسهم بهذه

الباطة .. هناك مخرج من هذا حتما ..

أطلق (بانشو) ضحكة جُنولية ، وهتف :

— ليس المهم هو اخراج أيا الشيطان ، وإنما الوقت الكافى

للوصول إليه .. ولم يقل لديك هذا الوقت ..

التقى (أدهم) نظرة على ساعة التوقيت ، وأحصى الثواني

الباقية على الانفجار ، ثم جذب (بانشو) ، وانطلق يعدو به
بعيدا ، وهو يقول :

— ابدل أقصى جهدك لتذكر إذن أيا الوغد ..

هتف (بانشو) :

— لا وقت .. لا .. فائدة ..

لوى (أدهم) ذراعه في عنقه ، وهو يقول في قسوة :

— سأذيبك العذاب إذن في الثواني الباقية ..

صرخ (بانشو) في ألم :

— لا .. لا .. هناك مخرج سرى واحد ، خلف مكبى

الخاص ، ولكنك لن تبلغه أبدا .. الوقت الباقى لن ..

دفعه (أدهم) بعيدا ، وانطلق يعدو بسرعة حرجية نحو

مكب (بانشو) ..

ومضت الثواني في سرعة مذهلة ..

وبلغ (أدهم) المكب ، و

وذوى الانفجار ..

ومع الضاعط الناشئ ، اندفع جسد (أدهم) إلى الأمام ،

وارتطم بحاجز خشبى ، يصعب تمييزه عن حائط المكب ،

وشعر بالآلام في أضلاعه ، عندما احترق جسده ذلك الحاجز

الحشيش ، وسقط عند حرجنا فوق سلاط طويلة .. طويلة ..
وأطمان من الأثرية تصالط على المدخل ، وتنهى خلفه على
السلاط ..

ثم ارتطم جسد (أدهم) بالأرض في قوة ..

وهوت الأثرية والصخور فوقه ..

وبغيزة بقاء خرافية ، من رجل تجهل خلاياه مانع به كلمة
الاستسلام ، راح (أدهم) يشق طريقه وسط الأثرية والغبار ،
ويضادى الصخور الساقطة ، ويتعد ، ويتعد ، وسط ظلام
مطلق ، ورائحة خائفة ..

ثم لاحت بقعة ضوء من بعيد ، بعد ساعة كاملة من السعي
والنصرع ..

وانته (أدهم) بكل ما تبقى له من قوة نحو بقعة الضوء ..

وبدا له كل شيء وكأنه السماء تطبق عليه ..

وراح يحفر عند بقعة الضوء في إصرار ..

وفجأة ، غبره ضوء الشمس ..

وظل جسده في قوة إلى أعلى ..

إلى بقعة مظفرة من قلب صحراء (المسكيك) ..

وهنا ..

هنا فقط انهارت خلاياه ..

وسقط البطل ..

« إنه لينحشني حقاً أنه ما يزال على قيد الحياة .. »

كانت تلك العبارة هي أول ما تسلسل إلى عقل (أدهم) ،

وهو يستعيد وعيه ..

ولقد فهمها على الفور ..

كانت العبارة باللفظ الأسبانية ، ولم يجد صعوبة في فهمها

وتحيزها ، وإن خامره شعور عجيب بأن هذه اللغة ليست لغته

الأصلية ، ففتح عينيه ، وتطلع إلى وجه كهل أشيب الشعر

واللحية والشارب ، ينحني عليه في اهتمام ، وحسبم بالأسبانية :

— من أنا ؟ وماذا أفعل هنا ؟

لم يكن في سؤاله أي نوع من القوة أو المروية ..

لقد كان مجهول حقاً من هو ..

الانفجار والصدمة لم يجرأ بلا أثر ..

لقد حطما ثلاثة من أضراسه ، وأصاباه بكمية ضخمة من

الرضوض والسحجات ..

وأفقداه ذاكرته ..



ول حيرة راح يتطلع إلى الكهل الأسيب ، وإلى تلك السمراء الفاتية ،
ذات الشعر الأسود الناعم الطويل ..

نعم ..

لقد فقد (رجل المستحيل) ذاكرته تمامًا ..

لم يعد يذكر من هو ، ولا إلى أية دولة ينتمي ..

لم يعد يذكر حتى ما أصابه ..

لقد تحولت ذاكرته إلى صفحة بيضاء تمامًا ..

وأصبح هو رجلًا بلا ماضي ..

ول حيرة راح يتطلع إلى الكهل الأسيب ، وإلى تلك

السمراء الفاتية ، ذات الشعر الأسود الناعم الطويل ،

والرموش الرقيقة ، التي راحت تملو إليه مشفقة ، وتكرر :

سؤاله :

— أين أنا ؟ .. ومن أنا ؟

ابتسم الكهل ، قائلاً :

— أنت هنا في منزلي الموضع .. أنت (برونكو فيلا) ،

ممرض قديم بالجيش المكسيكي لتعشّن خطك ، ومزارع خالٍ ،

أمتلك مزرعة صغيرة ، وهذه ابنتي (ماريانا) ، وهي كل

ما تبقى من أسرتي ، أما قن أنت ، فهذا ما أجهله تمامًا ، فلقد

عرفنا عليك ، ابنتي وأنا ، فاقد الوعي ، محطّم الأصابع في

الصحراء ، فحملناك إلى هنا في (كيووا) ، واستخدمت أنا

خيرتي المتواضعة لداوانك ، ولكنك لم تكن لتجبر من كل
إصاباك ، لولا قوة بيتك .

عاد (أدهم) يكرّر في خيرة :

— ولكن من أنا ؟

هز (برونكو) كفيف ، قائلا :

— الله وأنت وحدكما يكمما إجابة هذا السؤال يا ولدي .

قال (أدهم) في ضيق :

— ولكنني لا أذكر شيئا البتة .. ذاكرتي يضاه ثامنا .

سأله (برونكو) في اهتمام :

— ألا تذكر حتى أشياء مفرقة ؟

هز (أدهم) رأسه نفيا ، وهو يقول في مرارة :

— مطلقا .

تهد (برونكو) في أسف ، وقال :

— لا ريب في أنك قد تعرّضت إلى صدمة قاسية ، أفقدت

الذاكرة ، والله وحده يعلم متى تسترثها .

الدفعت (ماريانا) بغية تقول :

— ولكنك لست مكسبا .

حدّق (أدهم) في وجهها بدمعة ، في حين عقد والدها

حاجبيه ، قائلا :

— ما الذي يدعوك إلى قول هذا ؟

ارتبكت وهي تتطلع إلى (أدهم) ، وقالت :

— إنه لا يتحدث الأسبانية بلهجة مكسيكية سليمة ثامنا ،

ثم إنه أبيض البشرة ، وطويل القامة ، و

قاطعها والدها :

— أي فراء هذا ؟

أسرع (أدهم) يقول :

— ربما هي على حق يا سيدي ، فصحيح أنني أتحدث

الأسبانية ، ولكن شيئا ما في أعماقي يؤكد لي أنها ليست لغتي ..

هل تدرك ذلك ؟

ازداد اعتقاد حاجتي (برونكو) ، وهو يهمهم :

— بالتأكيد .

ثم اعتدل مستطرذا :

— على أية حال ، إننا لن نسعى لكشف هويّتك الآن ،

فعندما عثرنا عليك منذ يومين ، لم تكن تحمل أوراقا ، أو

قاطعه (أدهم) في دهشة :

— منذ يومين ؟.. هل أنا فاقد الوعي منذ يومين كاملين ؟

ابتسم (برونكو) ابتسامة باهتة ، وهو يهمهم :

— على الأقل .

ثم اعتدل متأهبا للانصراف ، وهو يستطرد :

— سأتركك الآن لتسرع ، وسأعُدُّ لك (ماريانا) وجبة ساخنة ، وعليك أن تبدل أقصى جهدك لتسرد قواك في أسرع وقت .

فالها وانسم ابتسامة أخرى باهجة ، قبل أن يقادر المكان ، ويفلق الباب خلفه إلى هدوء ، فابتسمت (ماريانا) لـ (أدوم) في تعاطف ، ورثت على كلفه ، قائلة في حنان :

— اطمئن .. ستشفى .

منحها أفضل ابتسامة استطاع رسمها على شفاهه ، وهو يتعمد :

— أشكرك .

ثم استرخى في فراشه ، وترك لأفكاره الجنان ..
من هو ؟ ..

من شعبه ؟ ..

إلى أي جنس ينتمي ؟ ..

بدأت له كل هذه الأسئلة مخيرة عجيبة ، وهو يحتصر ذهنه للبحث عن أجوبتها عينا ، ثم لم يلبث أن شعر بالإرهاق ، فقرر الاستسلام للموقف مؤقتا ، حتى يسرد ذاكرته ..
أو يفقد هويته ..
إلى الأبد ..



٥ - عاصفة في الأفق ..

أربعة أشهر مضت على تلك الواقعة ، استرذفها (أدهم)
قوته وعافيته ، وحمل ذلك الاسم ، الذى منحه إياه
(برونكو) .. اسم (أميجو) .. الذى يعنى (الصديق)
باللغة الأسانية ، وأولته (ماريانا) كل عنايتها ، ومنحته
حنانها .. أو لنقل حبها ..

ولكن (أدهم) لم يشعر بكل هذا ..
لقد واصل رحلته اليانسة للبحث عن نفسه ..
لاستعادة ذاكرته ..
للسعى خلف هويته ..

ول كل يوم ، كان (أدهم) يقضى نهاره فى معاونة
(برونكو) فى مزرعته الصغيرة ، وعند غروب الشمس يتطلى
جواده ، ويتطلى به إلى ذلك النهر ، عند حافة المزرعة ، فيجلس
على شاطئه الصخرى ، يتأمل الغروب ، ويدلأ أقصى جهده ،
لاستعادة ذاكرته ..

ول ذلك اليوم ، لحقت به (ماريانا) ..

ودون أن يتبادلا كلمة واحدة ، جلست إلى جواره صامتة ،
وراحت تلقط الحصى الصغير ، وتلقى به لى النهر ، ثم لم تلبث
أن انضمت إليه ، متبتمة :

— (أميجو) .. أما زلت تبحث عن ماضيك ؟

أجابها دون أن يحول عينيه عن النهر :

— الإنسان لا يستطيع محو ماضيه دفعة واحدة
يا (ماريانا) ..

تسللت أناملها الرقيقة تداعب أصابعه ، وهى تمس فى
حب :

— وماذا تريد من الماضى ؟ فليذهب إلى الجحيم .. المهم
هو الحاضر والمستقبل ..

أبعد كفه عن أناملها ، وهو يقول :

— لكل امرئ ما يوى ..

ثم نهض مستطرداً فى حزم :

— هيا .. سنعود إلى المزرعة ..

قالت مستعطفة :

— ولكن الوقت مازال مبكراً ، و

قاطعتها لى لهجة أمرة ، لا تقبل النقاش :



ولم يكند المنزل يُلوح لهما وسط المزرعة ، حتى عقد (أحسن) حاجيه ،
وهو يقول : — يبدو أنت لدينا زوّاراً ..

— هيا .
جلها في بساطة ، لتحل ظهر جوادها ، ثم قفز هو في رشاقة
يبتلى صهوة جواده ، فقالت في مرارة :
— أنا قبيحة إلى هذا الحد ؟
أجابها في هدوء :
— بل أنت فاتنة .
هتفت بلمهجة أقرب إلى البكاء :
— لماذا إذن ؟
قاطعها في تحفوت :
— لست أدري يا (ماريانا) .. إنني أقدرك ، وأقدر جميل
والدك ، ولكنني أشعر أن وجودي هنا أمر مؤقت ، وأخشى
أن أستهبد ذاكرتي ، فأجدني رجلاً متروّجا مدّلاً .
قالت في حزن :
— وماذا لو لم تكن كذلك ؟
صمت فتيهة ، ثم أجاب :
— من يدري عندئذ يا (ماريانا) ؟ .. من يدري ؟
كان هذا آخر ما تبادلاه من حديث ، طوال طريق العودة
إلى المزرعة ، ولم يكند المنزل يُلوح لهما وسط المزرعة ، حتى عقد
(أحسن) حاجيه ، وهو يقول :
— يبدو أن لدينا زوّاراً .

شخب وجه (ماريانا) ، ووضعت يدها على صدرها ،
وكأنما تكلم ارتجاف قلبها ، وهى تقول فى خوف واضح :

— إنه سنور (توماس) ورجاله .

تطلع إلى خوفها فى خيرة ، ثم عاد يلقي نظرة على ذلك
البدن الضخم الجثة ، الذى يرتدى خلعة أنيقة ، وقبعة عريضة
الأطراف ، ويقف إلى جوار سيارة أمريكية فارغة ، تتوسط
ساحة المزرعة ، وحوله أربعة رجال تتدلى ملابسهم فى
أعنيديهم ، على طريقة رعاة البقر ، وأمامهم يقف (برونكو)
مرتبكاً متوترًا ، يتبادل الحديث مع البدن الضخم ، الذى
يدخن سيجاره فى غطرسة واضحة ، فسأل (أدهم)
(ماريانا) فى اهتمام :

— من (توماس) هذا ؟

ارتجفت صوتها ، على نحو يشف عن خوفها ، وهى تجيب :
— إنه مليونير أمريكى ، يتاع كل مزارع المنطقة تقريبًا ،
ويدعو أن تقرر مزرعتنا قد حان .

سأها (أدهم) :

— ولماذا يتاع كل المزارع ؟

هزت رأسها قائلة :

— لست أدرى .

أدار عينيه بين وجهها المذعور ، وبين (توماس) ورجاله ،
ثم قال فى هدوء :

— الأمر لا يستحق كل هذا القلق والخوف ، فلو عرض
(توماس) هذا مبلغًا جيدًا ، يمكن لوالدك بيع مزرعته ، أما
لو كان يرفض ذلك ، فلن يتمكن (توماس) من
قاطعه فى ارتعاج :

— يبدو أنك لم تسمح عن (توماس) هذا .. مادام قد قرر
الحصول على المزرعة ، فعا من وسيلة لمنعه من ذلك .. لقد
رفض جارنا (بابلو) بيع مزرعته ، وعثرت عليه زوجته بعدد
قبيلا إلى جوار النهر ، وعجزت الشرطة عن إثبات التهمة على
أى مخلوق ، و

قاطعها (أدهم) ، وهو يتطلع إلى (توماس) بنظرة
جيدة :

— آه !! هذا أسلوبه إذن .

وفى أعماقه تولدت فجأة غريزة قتالية نشطة ..

أو أن ذهنه قد استعادها من دون ذاكرته ..

وفى هدوء وثقة ، غيّر (أدهم) بحجوده سور المزرعة

الحسين ، وخلفه (ماريانا) ، وتوقف إلى جوار سيارة
(توماس) ، ومبط من فوق صهوة جواده ، قائلاً :

— مساء الخير ياسنيور (برونكو) .. يبدو أن لدينا زواراً
هنا .

ارتبك (برونكو) ، وهو يقول :

— إنه سيور (توماس) .

قال (أدهم) في برود :

— أهلاً .

عقد (توماس) حاجبيه ، وهو يقول لـ (برونكو) :

— من هذا الوقح ؟

أجاب (برونكو) في قلق :

— إنه (أميجو) .. مساعدي في المزرعة ، و

قاطعة (توماس) غاضباً :

— ثمة بالتزام الأدب .

قال (أدهم) في هدوء :

— وهل تجاوزته ؟

احتقن وجه (توماس) غضباً ، وتحفّزت يد رجاله ، وهي

تتجه نحو القابض المسدسات ، فأصرع (برونكو) يقول :

— رؤيتك يا (أميجو) ، لا تتحدث إلى سيور (توماس)
هكذا .

شعر (أدهم) بذعر (برونكو) الشديد ، فراجع
مغمغماً في ضيق :

— لا بأس ياسنيور (برونكو) .. لا بأس .

نفت (توماس) دخان سيجاره في غضب ، وهو يقول :

— هذا أفضل .

ثم التفت إلى (برونكو) ، مستطرداً في لهجة رجل يكمل

حديثاً سابقاً :

— هه .. مارايك يا (برونكو) .. سأدفع عشرة آلاف

بيزو ، مقابل مزرعتك هذه .

ارتبك (برونكو) ، وهو يقول :

— معذرة ياسنيور (توماس) ، ولكن هذا المبلغ

لا يساوي نصف ثمن المنشآت .

قال (توماس) في ضجر :

— فليكن .. سأدفع عشرين ألفاً .. وهذا آخر رقم .

قال (برونكو) في توتر بالغ :

— ولكنني لا أريد بيع المزرعة ياسنيور (توماس) .

ابسم (توماس) ابتسامة ساحرة ، وهو يقول :

— لا تريد ماذا ؟ ..

انطلق فجأة يقيقه ضاحكًا ، وشاركه رجاله الأربعة ضحكته ، قبل أن يسمح فمه بكلمة على نحو مقزز ، ويقول :
— اسمع يا (برونكو) .. إنني أريد هذه المزرعة ، وعندما يريد (توماس موران) شيئًا ، فإنه

قاطعة (أدهم) بلفة في صرامة :

— يدوئك تحتاج إلى طبيب جيد لتسليك أذنيك باستيور (توماس) ، فأنت لم تسمع سيور (برونكو) جيدًا ، عندما أعلن أنه يرفض بيع مزرعته .

بدت تلك العبارة أشبه بقبلة ذوت في أسماع الجميع ، وساد بعضها صمت رهيب ، وشحّب وجهها (برونكو) و (ماريانا) ، واحضن وجه (توماس) ، وارتسم اللؤلؤ في عيون ووجوه الجميع ، وقد صار (أدهم) في لحظة واحدة قبلة أنظارهم ، في حين وقف هو هادئًا ، ممشوق القوام ، يعقد ساعديه أمام صدره القوى ، ويتطلع إلى (توماس) ورجاله في بزود ، قبل أن ينفجر (توماس) ضارحًا :

— هل لجئت ؟

قال (أدهم) في لهجة باردة كالطبع :

— ربما .. والآن أخبرني .. هل تفضل الرجل مع رجالك في سيارتك ، أم أنك تجد سيارة الإسعاف أكثر راحة ؟
حذق الجميع مرة أخرى في وجه (أدهم) في القول ، وغمغمت (ماريانا) في انبساط :

— (أميجو) ... يا إلهي !!!

وصرخ (توماس) وقد حُجّ جنونه :

— لقد تجاوز هذا المحور حدوده ، ويحتاج إلى درس قاسٍ يا رجال ..

لم يكذب غبارته ، حتى ضمّ الرجال الأربعة قبضاتهم ، واندفعوا الدفاعة رجل واحد نحو (أدهم) ..
وحالت لحظة الاغبار ..



٦ - الرجل ..

صحيح أن (أدهم صبرى) كان فاقداً لذاكرته تماماً ..

صحيح أنه لم يكن يعلم من هو ؟.

ما هوئته ؟.

أين وطنه ؟.

ولكن في مثل تلك الظروف ، عندما يتعرض المرء لخطر

ما ، فإن دُور الذاكرة هنا يتراجع ، وتبقى فقط الغريزة ..

غريزة البقاء ..

وفي تلك اللحظة ، عندما بدأ الهجوم ، لم يكن (أدهم

صبرى) يذكر أنه يعد أقوى رجل مخابرات في العالم ، باعتراف

الأعداء قبل الأصدقاء ..

ولم يكن يذكر كم من المهارات يمتلك ..

ولكنه كان يشعر بالقوة ..

عقله الباطن كان يعلم من هو ..

ولقد هاجم رجال (توماس) خصمهم الأعزل ، وهم

يجهلون نفس ما يجعله هو ..

يجهلون أنه الرجل ، الذى ارتجف لذكر اسمه عمالقة أركان العالم
كله ..

(رجل المستحيل) ..

ولقد ظل (أدهم) عاقداً ساعديه أمام صدره ، متطعماً إلى

مهاجميه بنفس النظرة الباردة الخاوية ، حتى صاروا على قيد

خطوات منه ..

وفجأة ، استحال إلى عاصفة عاتية مدمرة ..

لقد انحنى بخته ، متفادياً لكمة الرجل الأول ، ثم انتصب

مُوجَّهاً لهذا الأخير لكمة كالقنبلة ، ارتدَّ لها الرجل متراً كاملاً

إلى الخلف ، وارتطم بالأرض كبرميل محتقن بالرمال ، في نفس

اللحظة التى ارضعت فيها قدم (أدهم) ، وركلت فك الرجل

الثانى ، ثم انطلقت قبضته الثانية تحطم فك الثالث ، واشتركت

كفاه في جذب الرابع إليه ، بدلاً من تفاديه ، ثم ارفعت ركبته

تفوح في معدة الرجل ، وتخلَّت كفاه عنه ، وهبطتا في سرعة

مذهلة ، لتلتقي إحداهما بسلس الرجل ، وتدفعه الأخرى

أرضاً ..

وفي غضون ثابنتين لا غير ، وهما كل الزمن الذى استغرقه

هذا القتال ، وجد (توماس) رجاله حوله ، وقد ذاقوا أمر

هزيمة في عمرهم كله ، والرجل الذي أرادوا تخيطه يقف شامخا ، وابسامته الساحرة غلا وجهه ، ومسئس أحد الرجال في قبضته ، يصوبه إلى الرجال وقالدهم ، قائلا :

— حسنا !! ماذا كنا نقول ؟

حدّق (توماس) في وجهه في ذُفول ، وامتلأت أذناه بتأوهات رجاله ، وهم يهضون في ألم وصعوبة ، في حين تحب وجه (برونكو) ، وهو يتسم غير مصدّق ما رآته عيناه :

— أوه !! (أميجو) .. كيف فعلت هذا ؟ كيف ؟
أما (ماريانا) ، فقد تراجعت ذاهلة ، وراحت تنقل بصريها بين (أدهم) ورجال (توماس) ، قبل أن تهتف بصوت كاهن :

— (أميجو) ؟

ولفجأة ، انطلق صوت (توماس) كقنبلة من الغضب ، وهو يصرخ :

— كيف جرّوت ؟ ..

قال (أدهم) بنفس السخريّة :

— هل استدعى سيارة الإسعاف ؟

احتقن وجه (توماس) في شدة ، وقال ساعطا :

— اسمع يا هذا .. إنني أعترف بقوتك ، وبهزيمتك لرجالي ، ولكن ينبغي أن تعلم مع من تصامل .. إنني (توماس) .. (توماس موران) ، وهؤلاء الرجال الأربعة الذين حطمت لمكوهم ليسوا سوى ذرّة في جيش رجالي ، ولقد حطمت من هم أقوى منك من قبل ، ولتعلم أنني لم أكل بعد عن رغبتى في هذه المزرعة .

ثم رفع قدمه ، وضرب بها الأرض في قوة ، مستطرقا في ثورة :

— عندما يظأ (توماس موران) أرضا بجذاته ، فإنه يحصل عليها ، مهما كان الثمن .

انطق حاجبا (أدهم) في صراية غليظة ، وهو يقول بلهجة أمرة ، وصوت يكفى لتجميد الدماء في العروق :

— اخلع حذاءك .

حدّق الجميع في وجهه في ذُفول ، وانجف صوت (برونكو) ، وهو يقول :

— (أميجو) .. لا تتاد .

وبرقت عينا (ماريانا) ، وهي تتابع ما يحدث ، في مزج عجيب من الشكف والخوف ، في حين هتف (توماس) ذاهلا :



انطلقت بغلة رصاصة من مسدس (أدهم) ، أصابت الأرض بين قدمي
(توماس) تمامًا ، فقفز هذا الأخير في دُعر .

— هل نجيت ؟

جذب (أدهم) إبرة مسدسه في حرامه تشف عن جدية أمره ، وهو يكرر بنفس اللهجة الأمرة الرهيبة :

— اخلع حذاءك أيها الوغد .

توتر رجال (توماس) في شدة ، فأضاف (أدهم) :

— وسأطلق النار على آخر من يحفظ بمسدسه منكم .

أسرع الرجال يلقون مسدساتهم أرضًا ، في دُعر واضح ،

وقد أبانهم تلك الآلام ، التي تملأ موضع لكلمات (أدهم) ،

أنه ليس من الحكمة في شيء عدم إطاعة أوامره ، في حين التفت

(توماس) إلى (برونكو) ، وألقى سيجاره أرضًا في غلب ،

وهو يصرخ :

— هل أصيب مساعدك هذا بالجئون ؟

انطلقت بغلة رصاصة من مسدس (أدهم) ، أصابت

الأرض بين قدمي (توماس) تمامًا ، فقفز هذا الأخير في دُعر ،

وحذق في وجه (أدهم) ، الذي كثر :

— اخلع حذاءك ، أو يضطر طيبك الخاص لانتزاعه من

قدمك ، قبل يترها .

ثم أضاف في لهجة جمّدت الكلمات في خلوق الجميع :

— وهذا الأمر يشغل الجميع .

أسرع رجال (توماس) الأربعة يخلعون أخديتهم ، ويضعهم هذا الأخير في خنق ، وقد شُحِب وجه (برونكو) ، حتى كاد يحاكى وجوه المرق ، دون أن يمس بنت شقة ، وعطف (توماس) ، وهو يلوح في وجه (أدهم) بسبابه في غضب :
— استدفع عن هذا غالياً .

تجاهل (أدهم) العبارة تماماً ، وهو يقول في برود :
— استعد أيها البدين .. ستركض بقدميك الطاريتين طويلاً ، حتى تبلغ منزلك .
هتف (توماس) ، وقد صار وجهه في لون الدم ، من شدة احتقانه :

— لن أعطيك لحظة واحدة بدون السيارة .

وفي برود متناه ، أطلق (أدهم) رصاصات مسدسه نحو خزان وفود السيارة ، ومبرّد المياه بها ، وسال الوفود ، واختلط بالماء ، وهو يقول في شخيرة :
— لقد تلفت السيارة .

بالألف أحد الرجال على أذن (توماس) ، وهمس مرتبكا متوكلرا :

— من الواضح يا سيدي أنه يتميز بالعناد الشديد ، و
صرخ (توماس) :

— الخرس .

ابتسم (أدهم) في شخيرة ، وهو يقول :
— أمر طريف .

ثم اكتست ملامحه بصرامة مخيفة مباغتة ، وهو يستطرد :
— والآن فليبدأ الجميع الركض ، وسأقتل من أجده داخل حدود المزرعة ، بعد عشر دقائق من الآن .. هيا .
تردّد الرجال ، وهم يتطلّعون إلى (توماس) ، الذي قال في غضب هادر :

— مستعد أشد الندم على تبجحك هذا .

رفع (أدهم) مسدسه ، وأطلق رصاصة في الهواء ، صالحا :
— هيا .

انطلق الجميع يعذون في رعب ، وبلغ هات (توماس) آذان (أدهم) و (برونكو) و (ماريانا) ، وهو يجاهد للبقاء برجاله ، على الرغم من بدائته ، فأطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، والتفت إلى (برونكو) ، قائلاً :

— أهذا هو (توماس) الرهيب ؟

واجهه وجه (برونكو) الشاحب ، وهو يقول في انهار :

— ماذا فعلت أيها النحس ؟

هز (أدهم) كتفيه في هدوء ، وهو يقول :

— وماذا فعلت ؟.. لقد لقيت وغدا ما يستحقه من درس .

لوح (برونكو) بكفه ، متحسنا :

— لقد حطمت كل شيء .

أسرعت إليه (ماريانا) ، هائلة في لوحة :

— ألى .

استد الكهل إليها ، وهو يستطرد في مرارة :

— لقد أشعلت غضب (توماس) ، ولم يُعد لدينا سوى

الرجل .

عقد (أدهم) حاجبيه في صرامة ، وهو يقول :

— لا ياسبور (برونكو) .. صحيح أنني أجهل فؤادي ،

ولكنني لم أكن لأفارق وطني أبداً بلا ذقي ، فراقاً من وجه

أعدائي .. إنني أفضل الموت وأنا أذود عنه .

صرخ (برونكو) :

— فلتحفظ بهذا لنفسك .

ثم أضاف في يأس وجزع :

— إنك لا تعلم من هو (توماس) .. إنه أقوى رجل في

(كيواوا) كلها .. إنه يملك كل شيء ، حتى حمائر القضاة

ورجال الشرطة ، وأنت لم تكف بتحلده فحسب ، بل عملت

على إذلاله وتعقيره ، و (توماس) ليس بمن ينفرون هذا ..

سترى كيف سينقلب العالم كله على رأسك غداً ، بالإضافة إلى

ما ستواجهه على يد جيش (توماس) الجرار .

أجابه (أدهم) في هدوء :

— لا يقلقك الأمر .. لن يحصل (توماس) على شيء

واحد من مزرعتك .

كتف به (برونكو) ساعطاً :

— أتفق بنفسك إلى هذا الحد ؟

أصاب السؤال نفس (أدهم) بخيرة بالغة ..

لقد فجر ذلك الصراع القصير شيئاً ما في أعماقه ..

لقد أبرز قوته وخبراته ..

شيء ما في نفسه يقول إنه يملك قدرات هائلة ..

ولكنه لا يدرك هذا ..

والمعجب أنه — إزاء هذا التحدي — لم يكن يشعر

بالخوف ، بل بنوع من التثنية ..

نشوة مقاتل عاد إلى خلية الصراع ..

وفي هدوء ، أجاب :

— قلت لك اطمئن .

لوح (برونكو) بذراعه كلها ، صائحا :

— لا .. لن أحمل مجرد الخطورة .

ثم أضاف في حزم :

— سرحل .

قال (أدهم) في حزم :

— لا .. سأرحل أنا ، ولحق أنت وابستك في أرضكما .

أطلقت (ماريانا) شهقة قصيرة ، شفت عن لوعتها ، في

حين حدق (برونكو) في وجه (أدهم) لحظة ، ثم لوح بكفه ،

قائلا :

— لا فائدة .. أسلو بك مع (توماس) سيؤجج رغبته في

الحصول على مزرعتي ، وروحك مبعية بالجنون ، ولن يبدأ

قبل أن يريق دمي ودم (ماريانا) على الأكل .

زانَ عليهما الصمت طويلا ، ثم أطلقت (ماريانا) شهقة

ذفر ، وهي تشير إلى حدود المزرعة ، صارخة :

— أفي .. (أميجو) .. انظرا .

أدار الاثنان عيونهما إلى حيث صرخت ، وشهق والدهما

بذويرة في رعب ، وهتف في ارتباك :

— فلنرحنا رب السموات .

أما (أدهم) ، فقد انعقد حاجباه في شدة ..

لقد كانت هناك أنوار قافلة من عشر سيارات تقترب في

سرعة من مزرعة (برونكو) ..

وكان من الواضح أن (توماس موران) لم يحصل الانتظار

للفد ..

لقد حشد جيشه ، وقرر بدء هجومه على الفور ..

وعلى الرغم من دقة الموقف ، التفت (أدهم) إلى

(برونكو) و (ماريانا) ، وقال في هدوء حازم :

— ابتعدا عن هنا .. اذهبا إلى البئر ، واحتضيا داخله .

هتف (برونكو) في انبهار :

— لا فائدة .. لقد انتهى كل شيء .

صاح به (أدهم) في صرامة :

— قلت اذهبا .

ارتجف صوت (ماريانا) ، وهي تقول :

— تعال معنا .

قال وهو يجمع المسدسات الثلاثة الأخرى ، ويوجه نحو
جواده :

— اذهب .

عازت والدها على المضى معها نحو البئر ، في حين اعتل
(أدهم) صهوة الجواد ، وعينه تراقبان قافلة السيارات في
صرامة رجل يدرك جيدًا معنى أن يقاتل وحده ..
وأن يكون لخصمه جيشًا كاملاً ..



٧ — .. والمستحيل ..

حطمت قافلة السيارات سور المزرعة الخشبي ، وانطلقت
مهرس الزروع باطاراتها ، وعلى متنها أربعون رجلًا
مسلحون بالمذافع الآلية ، وعلى رأسهم (توماس موران) ،
الذي يلوح بقبضته ، صارحًا :

— سيدفعون الثمن .. أريدكم جميعًا أحياء ، وخاصة ذلك
الحقير (أميجو) .. سأجعله يعدو فوق حجر مشعل .. أقسم
أن أفعل .

أخاطت السيارات العشر بمنزل المزرعة الخشبي ، وصرخ
(توماس) :

— اخرجوا جميعًا .. استسلموا أو أطلق النار .

جاوبه صمت تام ، جعل أحد رجاله يقول في خنجر :

— يبدو أنهم قد غادروا المكان يأسىدى .

صرخ (توماس) في غضب :

— مستحيل !.. لابد أن أقتل منهم جميعًا .

ثم أشار إلى المنزل ، هاتفًا :

— اتجهوا المكان ..

انقضّ رجاله على المنزل الخشبي ، وراحوا يمتطرونه
برصاصاتهم ، وهم يطلقون صراعات همجية وحشية مخيفة ،
جعلت (برونكو) يتشبّث بابه في قرار البئر ، وهو يهتف
بصوت خافت :

— إنهم يدمرون كل شيء .. كل شيء ..

أمسكت ابته كتفه ، وهي تقول بصوت مرتجف :

— فليذهب كل شيء إلى الجحيم يا أبى .. إننا ندفع ثمن

حياتنا .

أشار إلى أعلى ، هائفاً :

— وماذا عن حياة (أميجو) ؟

خطف قلبها في لوعة ، مع ذكر الاسم ، وترقرقت في عينيها
دمعة ، وهي تقول :

— فلتحفظه السماء ..

وفي نفس اللحظة ، كان رجال (توماس) قد انتهوا من
تفتيش المنزل ، وخرجوا إلى قائلهم ، يقولون :

— لا أحد بالداخل أيا الزعيم .

صاح (توماس) غاضباً :

— أين ذهبوا ؟ .. انطلقوا للبحث عنهم .. فمشوا كل شبر

في هذه المزرعة اللينة .. أريدكم أحياء بأي ثمن .

همّ الرجال بالانطلاق في كل مكان ، لتفتيش المكان ، لولا
أن أمطرت السماء فجأة ..

لم تمطر ماء ، كما تفعل خوفاً ، وإنما أمطرت وقوفاً ..

شأل من البنزين انهمر فوق كل الرؤوس ، من سطح المنزل
الخشبي ، وغمر الجميع ..

وفي سرعة وغضب ، استدارت كل الرؤوس إلى سطح
المنزل ، وارتفعت كل قوّهات المدافع الآلية نحوه ..

وهناك كان يقف (أدهم صبرى) هادئاً ، متبسّماً ، وإلى
جواره برميل ضخّم ، مزوّد بمضخة الري ، ويحمل على جانبه

كلمة (بنزين) بحروف أسبانية ..

وصرخ (توماس) :

— أطلقوا النار ..

ولكن أحداً من رجاله لم يطيع أمره هذه المرة ..

لقد تسوّرت عيونهم جميعاً بيد (أدهم) اليسرى ، التي
تمسك بمشعل تتأجج فيه النيران ، وهو يقول في سخرية :

— أحمًا ؟ .. لقد أدرك رجالك عالم يدركه غياؤك أيا

الأمريكي .. أدركوا أن البنزين الذي غمرتهم به مادة سريعة الاشتعال ، وأنهم عندما يطلقون رصاصاتهم على جسد سأسقط صريحا ، ويسقط معي ذلك المشعل ، فتحوّلون جميعا إلى شعلة من النيران في لمح البصر .

احتقن وجه (توماس) غضبا ، وغضب :

— يا للشيطان !!

ابسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— هيا يا جيش الأبله .. ألقوا أسلحتكم ، وإلا ألقيت أنا مشعل .

وبكل الخنق والغضب والسخط ، ألقى أربعون رجلا أسلحتهم أرضا ، أمام رجل واحد ، وصرخ (توماس) :

— إلك لن تنجو إلى الأبد .

أجاب (أدهم) بعبارة آمرة :

— هيا أيها الوغد .. اخلع حذاءك ، وليخلع الجميع أحذيتهم .

شحب وجه (توماس) ، وهو يتف :

— لا .. ليس مرة ثانية .

أطلق (أدهم) ضحكة قصيرة ، وهو يقول :

— ولم لا .. إني أهوى جمع الأحذية .. هيا .

أطاعه الجميع في خنق شديد ، وألقى (توماس) حذاءه في غضب ، وهو يقول غاضبا :

— في المرة القادمة لن تجد الوقت الكافي لتطلق مثل هذه العبارة .

أجاب (أدهم) :

— وفي المرة القادمة لن أكتفى بخلع حذائك ، وإنما سأعيدك إلى منزلك عاريا كما ولدتك أمك .

عص (توماس) شفاه قهرا ، وهو يقول :

— أيها الوغد .

صاح (أدهم) :

— والآن هيا .. سيبدأ السباق ، وسأطلق النار على أبطأ الجميع غلوا .

انطلق الجميع يخلدون خفاة الأقدام ، فوق خصى المزرعة ، وأشواكها ، وهو يشيعهم بضحكاته الساحرة ، ثم لم يلبث أن أطلقا مشعلته ، وقفز من سطح المنزل ، وانته في هدوء نحو البحر ، وانحنى يقول :

— يمكنكما الصعود ، لقد انسحب الجيش ، وأصبحنا شاك ما يكفي لافتح متجر للأحذية المستصلحة .

ثم راح يعاون (ماريانا) على الصعود ، ووقفت إلى جواره صامتة ، تتأمله في إعجاب ، في حين تسلق والدها الجبل ، وهو يقول في نأس :

— إنني أعترف لك بالجرأة والمهارة ، ولكن كل ما تفعله يزيد الثيران تأنججاً فحسب .

قال (أدهم) في هدوء

— لقد انفتحت أبواب الجحيم ، ولن يفلقها إلا النصر .. أو الموت .

هتف (برونكو) ، وهو يشير إليه :

— أنت فحبا علي مصراعيا .

أجابه (أدهم) في حزم :

— وأنا سأغلقها .

قفزت الكلمة التالية إلى لسانه بطلائية :

— بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

تطلع إليه (برونكو) و (ماريانا) في دهشة ، ثم أضاف

(برونكو) برأسه ، مغمضاً :

— صدقت (ماريانا) ، أنت لست مكسبكاً ، فنحن

لا نستخدم هذا المصطلح أبداً .



ووقفت إلى جواره صامتة ، تتأمله في إعجاب ، في حين تسلق والدها الجبل

تَهْد (أدهم) في عمق ، وقال :

— سنزجّل البحث عن حقيقة هُوتِي لما بعد ، أما الآن
فنحن نحتاج إلى نوم عميق ، حتى يمكننا مواجهة ما سيفعله
(توماس) هذا في الغد .

حَذَق (برونكو) في وجهه بَدْهُول ، متمنّئاً :

— نوم عميق ١٢.. هل سيمكثك النوم ؟

هَزَّ (أدهم) كُفَّيه في لامبالاة ، وهو يقول في بساطة :
— ولم لا ؟

لقد استعادت غريزته طبيعتها ، قبل أن يستعيد ذاكرته ..
لقد أدركت أعماقه أنه رجل من نوع خاص ، قادر على
مواجهة العبالقة ، وتحطيم ألف الخطر ..

أدركت أنه (رجل المستحيل) ..

مستحيل ١١.. مستحيل ١١.. مستحيل ١١..

صرخ (توماس) يكرّر العبارات الثلاث في سُخْطٍ وخُصْبٍ
باللين ، وهو يضرب سطح مكتبه بقبضته ، على حين ترك قدميه
لطيفه الخاضع ، يضمد جراحهما وكدماتهما ، من أثر القذو على
الصخور بلا حذاء ، وقال بحامية ، وهو يتطلّع إليه في ضيق :

— كان ينبغي أن تستشيرني أولاً يا سيور (توماس) ، قبل
أن تتطلق بكل رجالك خلف ذلك الرجل .
صرخ (توماس) :

— استشيرك أنت ١٢.. وماذا تفهم أنت في شؤون
القتال ١٢.. إنك رجل قانون فحسب ، كل عملك هنا هو أن
تطلعي على ثغرات القانون ، وكيفية النفاذ غيّرَها بلا خسائر ،
أما القتال فهو عمل أنا .

عقد الخامي حاجبيه في غضب ، وهو يقول :

— ومن الواضح أنك تحيد عملك .

احطن وجه (توماس) ، وهو يصرخ :

— هل تسخر مني ؟

لَوَّح الخامي بذراعه ، قائلاً :

— لا .. ولكنني أنتقد أسلوبك الأهوج هذا ، فلقد كانت
هناك عشرات الوسائل لئيل ذلك الرجل قانونياً ، ولكنك تنقاد
لغضبك ، وترتكب مع رجالك ما كان كفيلاً بإيقاعكم تحت
طائلة القانون .

صاح (توماس) :

— أي قانون ١٢.. أنسيت أن رئيس الشرطة هنا يتقاضى

منى راتباً شخصياً ، مقابل التعاضى عن آية أعطاه قانونية ؟ ..
وأنا قد اشترينا قاضيين ، و

قاطعه المحامى فى صرامة :

— ولكنك لم تنجح فى شراء الحاكم ، أو وكيل النيابة ،
فلاتنس هذا .

صرخ (توماس) هادراً :

— اسمع أيها المحامى ، إننى لا أدفع لك ذلك الأجر الباهظ ،
لتقف عتبة فى سبيل .. المفروض أن العمل ما يعملونى ، ثم تسعى
أنت لتضيقه .

هتف المحامى غاضباً :

— أنت تعكس الأمور ياسنيور (توماس) .

صرخ (توماس) :

— وأنت تزيدها تعقيداً .

بهض الطبيب قائلاً :

— اهدأ ياسنيور (توماس) .. لقد اتيت من تصميم

قديمك ، ولكن عصيتك الزائدة هذه ستعجز شرايتك ،
خاصة وأنت لتغالى ضغط الدم المرتفع .

التفت إليه (توماس) ، قائلاً فى حدة :

ألم تنته من عملك ؟ .. هيأ .. انه صرف إذن .

مطّ الطبيب شفطه فى استنكار ، وقال وهو يجمع أدواته :

— لقد أصبحت شخصاً لا يطاق ياسنيور (توماس) .

صرخ فيه (توماس) ، وهو يفادر الحجره :

— اذهب إلى الجحيم .

ثم التفت إلى محاميه ، مستطرداً :

— والآن .. ألدبك وسيلة قانونية ، لتعظيم هذا الرجل ؟

ابتسم المحامى ، وقد لاح له انصار أسلوبه ، وقال :

— هناك عشرات الوسائل للتخلص منه .. يمكنك أن تثبته

مسللاً بإتلاف سيارتك عمداً ، أو بسرقتك ، وسندفع

(جزويه) لإلقاء القبض عليه بهذه التهمة ، وبعدها ..

نرفع إتهامه ووسطاه ، وهو يسمى اتسامة عيثة ، نحيل إليه

أنها تحمل المعنى المقصود ، ولكن (توماس) سأله فى عصبية :

— وبعدها ماذا ؟

ضايقه أن (توماس) لم يفهم مغزى الحركة ، فقال فى

لحظات :

— سيتولى (جزويه) أمره فى السجن .

برقت عينا (توماس) ، وأسرع يُشعل سيجاره
في النعال ، وهو يقول :

— فهمت .. متوقع به في يد (جوزيه) ، وهناك ، عندما
يصبح خلف القضبان ، يحرق (جوزيه) أمره ، و
لقد أبحرنا سيجاره في قهوة ، وتألفت عينا جَدَلًا ، وهو
يضيف في حاس :
— ويقتل .



٨ — القانون ..

على الرغم من صعوبة الموقف ، الذي تواجهه المزرعة ،
وعلى الرغم من أن (برونكو) وابته لم يفضح لهما جفن طيلة
الليل ، إلا أن (أدهم) استغرق في نوم عميق أدهشهما ، حتى
أن (برونكو) سأل ابته في خيرة ، عندما عادت من باب
حجرة (أدهم) ، على أطراف أصابعها .
— أما يزال نائمًا ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وابتمت ابتسامة خالية ، وهي
تقول :

— وعلى خلفيه ابتسامة .

كُرِّر في ذهنة :

— ابتسامة !؟

ثم هز رأسه معتميًا :

— عجيب هذا الرجل !! يواجه جيشًا من القذرة ، الذين
لا يعرفون عن إراقة دماء القديسين أنفسهم ، مقابل حنة من
الدولارات ، ، شيطان أمريكي مجنون ، لم يتجسس شخص وقف

في طريقه فقط ، وعلى الرغم من ذلك ، يجد في أعصابه ما يكفي
لمنحه نومًا عميقًا ، في ظل كل هذه الظروف .. إنه إما شجاع
شجاعة الأسود ، أو أحمق تمامًا .
ابصمت (ماريانا) ، وهي تتطلع إلى حجرة (أدوم) ،
قائلة :

— إنه لا يبدو لي أحمق .
تطلع إليها والدعا لحظة ، ثم عاد يخفض عينيه ، متمسكًا :
— بالتأكيد .. بالتأكيد .

وفي نفس اللحظة كان (أدوم) غارقًا في النوم ..
لقد استعاد جزءًا من نفسه ..
استعاد طبيعته المقاتلة العبيدة ..
إنه الآن يدرك أنه ولد مقاتلاً ..
وأنه عاش كذلك ..

وفي تلك الليلة ، كانت أحلامه كلها تعبر عن القوة
والبأس ..
رأى نفسه يقاتل وسط أحراش ، وفي وصال الصحاري ،
وعلى الطريق ..
ورأى نفسه يقود طائرات وغواصات ..

واحتشدت أحلامه بمئات الوجوه ، التي لا يذكر أسماء
أصحابها فقط ..
ثم تلاشت الوجوه كلها ، وبقي منها وجه واحد ، من
شفاف قلبه ..

فابصم ..
وتلاشى ذلك الوجه بدوّره ..
وتلاشت الأحلام كلها ..
ثم استيقظ عقله بفتة ..

استيقظ على صوت عذات ، لم يتبه إليه (برونكو)
وابته ، اللذان لم يغمض لهما جفن ..

ولم تكد أذن (أدوم) المدربة لتلصق ذلك الصوت
الخافت ، وتمييز فيه صوت محرك سيارة تقترب ، حتى تنبه عقله
على الفور ، فقفز من فراشه ، والتفت مسلّمًا من تحت
وسادته ، واندفع في جفّة فقط نحو النافذة ..

ومن بعيد ، ومع أضواء الشروق الأولى ، رأى سيارة
تقترب ..

وكانت سيارة شرطة مكسيكية ، فاعتدل قائلاً في صُغرية :
— يبدو أن الحرب مستحيلة مسازًا جديدًا .

وارتدى قميصه في هدوء ، مع التراب السيارة ، ووضوح
صوتها ، ولم يدهشه أن التدفع (برونكو) إلى حجرته ، وهو
يقول مضطرباً :

— هناك سيارة شرطة تقترب .

أجاب (أدهم) في هدوء ، وهو يحشو قميصه داخل
سرواله :

— أعلم ذلك .

ألقى (برونكو) جسده على أقرب مقعد ، وهو يلطم
منهزاً :

— وعاذاً ستفعل ؟

تأكد (أدهم) من حشو ملابسه ، ثم دسّه في حزامه ،
أسفل القميص ، وهو يقول في فجأة تدعو إلى الثقة :

— اترك الأمر لي ..

كانت عبارة مطاطة شبيهة ، قد لفتني كل شيء ، أو لا لفتني
شيئاً بالمرّة ، إلا أن اللهجة التي نطقها بها (أدهم) أغرست
(برونكو) ، وحيث الكلمات في حلقه ، وإن لم تتجمع في
مخبر ضحوب وجهه وتولّره ، حتى سأل (أدهم) ، وهو يشير
إلى الضابط المكسيكي ، الذي غادر سيارة الشرطة ، بعد
تولّيها أمام المنزل :

— ما اسم هذا الشرطي ؟
أجاب (برونكو) في لحفوت :

— (جوزيه) .

ثم اتابته لوبة مفاجئة من التوتر والعصبية ، وهو يستطرد :

— ولكنني أحذرك .. إنني أرهق التورط في مشاكل دموية
مع رجال الشرطة الرسمية .

اتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— مشاكل دموية ؟ .. من أشار إلى تلك الأمور البليهة ..

وتسلّل شيء من الغموض إلى ابتسامته ، وهو يضيف :

— إننا سننهي الأمر بصورة وُدّية مع الضابط (جوزيه) .

غمغم (برونكو) في دهشة :

— وُدّية ؟ ..

ثم استطرد في حدة :

— من الواضح أنك تجهل كل شيء عن كيفية إدارة الأمور

في (كيواوا) يا (أميجو) .. إن (جوزيه) هذا واحد من

رجال (توماس) ، وما دام قد أرسله إلى هنا ، فهذا يعني أننا

في مأزق حرج رهيب .

اتسعت ابتسامته (أدهم) ، وهو يقول :

— فلنعكس الآية إذن ، ولنضعه هو في مأزق حرج .

ترك (برونكو) غارقاً في دهشته ، وانجه في هدوء إلى باب
المنزل ، ولم يكده يلمح (جوزيه) ، الذي رسم على وجهه
علامات الصرامة والعنف ، حتى انسم ملوفاً بيده ، قائلاً :
— مرحباً أيها الضابط ، من حسن الحظ أنك قد آتيت هنا ،
فلدينا شكوى ضد سنيور (توماس موران) .

كانت مفاجأة لـ (جوزيه) ، أطاحت بقناع الصرامة من
على وجهه ، فارتبك مضيقاً :

— ضد سنيور (توماس) ؟

انجه إليه (أدهم) ، ووضع يده على كتفه في وُدّ عجيب ،
وهو يشير إلى سور المزرعة المظلم من بعيد ، وهو يقول :
— بالتأكيد .. انظر .. لقد اقتحم مع رجاله المزرعة قسراً
ليلة أمس .

نفض (جوزيه) دهشته ، وانتفض قائلاً في غضب :

— ماذا تفعل أيها الرجل ؟ .. إنني هنا من أجل ..

قاطعه (أدهم) وهو يهيم في أذنيه ، بلهجة ثورجي بخطورة
الأمر :

— اصمت الآن ، فلا يجب أن يستمع (برونكو) وابنته

إلى حديثنا .



انجه إليه (أدهم) ، ووضع يده على كتفه وُدّ عجيب ، وهو يشير إلى
سور المزرعة المظلم من بعيد .

حذق (جوزيه) في وجهه دهشة ، وهتف :
— ماذا تعنى ؟

غمزه (أدهم) بيده ، مستطردًا بنفس اللهجة :
— اصمت الآن .. ودعنا نبعد قليلًا ، فليست أحب أن
يدرك الرجل وابنته ما سأخبرك به .

ارتبك (جوزيه) ، وحار في أمر (أدهم) ، وراح يتطلع
إليه في دهشة واستكار ، و (أدهم) يقوده بعيدًا عن
(برونكو) و (ماريانا) ، اللذين اكتفتيما الدهشة
بدورهما ، ثم أوقفه على بعد مناسب ، ومال نحوه يقول في حزم :
— اسمع .. إننى أشعر بأنك رجل أهل للثقة ، ولذلك
سأخبرك بالسِّر ، عل أن تتعاون معًا .

ففر (جوزيه) فاه في دهشة ، وهو يلمغم كالأبله :
— السِّر ؟

تابع (أدهم) بنفس اللهجة :
— الواقع أننى أعمل لحساب اخبارات الأمريكية .
هبطت العبارة على أذنى (جوزيه) كالقنبلة ، وانزعجت كل
عطرته وتعاله ، فانهارت ملامحه ، وهو يحذق في وجه
(أدهم) ، الذى استطرد :

— وهذا في إطار التعاون بين مخابراتنا والحكومة
المكسيكية ، لتحطيم أزمج الفساد في (كيواوا) ، فلدينا
معلومات تقول إن بعض رجال الشرطة واقتضاة يعملون
لحساب (توماس موران) ، وإنهم يتقاضون منه رواتب
شهرية .. ونحن نخطط لتحطيم هذه الفئة تمامًا .. هل تفهمنى ؟
هز (جوزيه) رأسه إيجابًا ، وهو يكاد يسقط بسكته قليبة ،
فتابع (أدهم) في جدية خفية :

— والواقع أننى أحتاج إلى تعاونك في هذا الشأن ،
فستراقب (توماس) لحسابنا ، وستبلغنى بأمر كل ضابط
شرطة أو قاضٍ يتعامل معه ، أو يعمل لحسابه .. هل توافق ؟
أسرغ (جوزيه) ينف وهو يرتجف :
— بالتأكيد .

— اتحدل (أدهم) ، واجسم قائلًا :
— حسنًا .. متى أنتظر أول المعلومات ؟
هتف (جوزيه) ، وهو يرفع يده بحجة عسكرية :
— في أول فرصة .

عقد (أدهم) حاجبيه ، قائلًا في حزم :
— لا تؤذ الصحة .. إننى هنا في مهمة سرية .

هتف (جوزيه) مرتبكا :

— بالتاكيد ياسيدى .. بالتاكيد .

لوح (ادهم) بكفه ، وهو يقول :

— حسنا .. هيا .. اذهب لبدء مهمتك على الفور .

انطلق (جوزيه) فى خطوات أقرب إلى العدو ، وقفز

داخل سيارته ، وانطلق بها كالصاروخ ، فاندفع (برونكو)

لخو (ادهم) هاتفا :

— ماذا فعلت به يا (اميجو) ؟ .. لقد رأيتاه يؤدى لك شعبة

عسكرية ، ويرتجف أمامك .. ماذا فعلت به ؟

لقهقه (ادهم) ضاحكا ، وقال :

— لقد أثرت دُعره .. أرايت كم هى بسيطة تلك الأمور

ياسنيور (برونكو) .

حدق (برونكو) فى وجهه بلخول ، ثم هتف فى غضب :

— أى رجل أنت ؟ .. إننا لواجه خطرا داهيا ، وأنت

تتصرف كحالو أنها مسرحية هزلية .

اجابه (ادهم) فى هدوء :

— العالم كله مسرحية هزلية ياسنيور (برونكو) .

والأصح وحده من يحوله إلى مأساة باكية .

صرخ (برونكو) :

— لست مستعدا لسماع فلسفتك فى الحياة يا (اميجو) ..

إنك لا تدرك ما فعلته بنا ، بعد أن أنقذنا حياتك .

قال (ادهم) فى ضيق :

— إننى أحاول الحفاظ على مزرعتك ياسنيور

(برونكو) .

هتف (برونكو) فى مرارة :

— مقابل حياتى .. اليس كذلك ؟ .. يبدو أنك قد نسيت

أننى والد لفتاة شابة ، تحتاج إلى بقاء على قيد الحياة لرعايتها .

بقى (ادهم) صامتا فى ضيق ، حتى انقربت (ماريانا) ،

وربعت على كتف والدها ، مغمضة :

— لقد كان (اميجو) يحاول معاونتنا يا أبى .

تقم (برونكو) فى انبهار :

— وبإيها من معاونة !!

كل هذا كان يحطم فى أعماق (ادهم) الكثير ..

وثبت الكثير ..

ولى حزم حمل كل قوته وصلابته قال :

— اطمئن ياسنيور (برونكو) ، لن يصيبك أو ابنتك أدنى

ضرر .

غمغم (برونكو) :

— هذا ما تروى عنه .

أجابه في حزم :

— بل هذا ما عازمت على فعله .

ولى خطوات صارمة ، عاد (أدهم) إلى المنزل ، وانزع
بتدقية (برونكو) المعلقة على الحائط ، ثم اتجه نحو جواده ،
و (برونكو) يتابعه صامتاً ، فهتفت (ماريانا) والجنزاع بجلاء
قلبا :

— إلى أين ؟

أجابها دون أن يلتفت :

— إلى الحل .

وبقفزة رائعة ، احتل صهوة جواده ، وجذب غتانه ،
فارتفع قائما الحصان وهو يصهل في حماس التقل إليه من راكبه ،
ثم انطلق الرجل والجواد ..
وبدأت المعركة ..

٩ — الحرب ..

١٢ .. ١٣ :

نطق (توماس) العبارة بكل الدهشة والقلق والاستكار ،
وهو يحدق في وجه (جوزيه) ، الذي نقل إليه كل ما دار بينه
وبين (أدهم) ، فأوماً (جوزيه) برأسه إيجاباً ، وقال وهو
يرتجف :

— نعم يا سيور (توماس) .. هو نفسه أخبرني بهذا .

عاد (توماس) يحدق في وجهه بدهشة ، قبل أن يقول في
عصية :

— أي خزاء هذا ؟ .. وهل من المنطقي أن يكشف رجل
مخابرات نفسه على هذا النحو ؟
أجابه (جوزيه) :

— لقد قال إنه يشد تعاوي يا سيدي ، وأنه هنا بالتعاون
مع السلطات المكسيكية ، لكشف أمرك ، وأمر من يتعاونون
معك ..

بدا الاضطراب على وجه (توماس) ، وهو يقول :

— مستحيل !.. لا ريب أنه كاذب مخادع .

تدخل محاميه ، قائلاً :

— ولكن هناك احتمال صدق ياسنيور (توماس) .

عصف (توماس) ، وهو يلوح بيده في حدة :

— مطلقاً .. لو أنه رجل مخابرات أمريكي ، فهو يعرف أن

(جوزيه) يعمل لحسابنا حقاً ، ومن المستحيل أن يكشف له

أمره هكذا .

قال المحامي :

— ربما هي متاوردة مدروسة ، لمعرفة رد فعلنا إزاء الموقف .

صاح (توماس) في عصبية :

— مستحيل !.. إنني أرفض هذا المنطق .

قال المحامي في لهجة تنطوي على بعض الصرامة :

— معذرة ياسنيور (توماس) ، ولكن ذغني أذكرك أنك

لا تملك حق الرفض ، فلست تعمل وحدك .

عقد (توماس) حاجبيه في غضب ، وهو يقول :

— ماذا تريد بالضبط ؟

أجاب المحامي ، وقد استعاد لهجته الهادئة :

— أريد أن ندرس الأمر بشيء من التعقل والتروى ، فعل

الرغم من غرابة موقف (أميجو) هذا ، إلا أننا قد لاحظنا جلياً
أنه ليس مكسيكياً ، وأن بشرته وملامحه يجعلانه أقرب إلى
الأمريكيين ، أضف إلى هذا جرائته المذهلة ، وأسلوبه المتكررة ،
وقدرته القتالية المتطورة ، التي جعلته يهزم أربعة من رجالك
في ثلثين فحسب .. كل هذا يشير إلى أنه ليس رجلاً عادياً ..
إنه رجل من نوع خاص .

وصمت لحظة ، ثم أضاف وهو يضبط حروف كلماته :

— رجل مخابرات .

امتقع وجه (توماس) لحظات ، ثم لم يلبث أن استعاد

حدته ، وهو يقول :

— أو مقامر متعجرف .

التقط المحامي سماعة الهاتف ، وقال وهو يضبط أزراره :

— هناك وسيلة للتأكد .

ثم قال غيّر الهاتف :

— مرحباً يا (أندريا) .. إنه أنا .. (كال) .. احصني

جيداً .. هل لديكم أية أعمال خاصة ، مع السلطات المكسيكية

في الوقت الحالي ؟

بدا الاهتمام على ملامحه ، وهو يستمع ، قبل أن يقول :

— مطلقاً !

ثم انبسم في ارتياح ، وقال :
— حسنا يا (أندريا) .. بالتأكيد .. ستحصل على مكافأة
جيدة .

وأعاد ساعة الهاتف إلى موضعها ، وهو يقول في ابتهاج :
— هذا الرجل لا ينتمى إلى الظاهرات الأمريكية .
أناه فجة صوت ساحر ، يقول :

— لو أنك سألتني مباشرة لحصلت على الجواب نفسه أيما
الوعد .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت في دهشة تمتزج بالدعر ،
وتجبدت الدماء في عروقهم ، وهم يتطلعون إلى (أدهم) ،
الذي وقف هادئا متسما عند النافذة ، يضرب إليهم بندقيته ،
ويستطرد في سخرية :

— عجباً !.. هل أدهشكم وجودي إلى هذا الحد ؟
هفت لحظات من صمت مُفعم بالدُّخُول ، قبل أن يبتف
(توماس) :

— كيف وصلت إلى هنا ؟

أجاب (أدهم) ساخراً :

— على قدمي .

صرخ (توماس) :

— كيف اخترقت حواجز الأمن ؟

أجاب (أدهم) متبكفاً :

— آية حواجز أمن ؟.. لم يعترض طريقى سوى رجلين ،
حطمت ألف أحدهما ، وأسنان الآخر ، وبعدها أوقفت التيار
الكهربي ، الذي يسري في سور المزرعة ، واتيحت لي هنا
مباشرة .

هف الهامى :

— ألم يعترضك أحد ؟

هز كتفيه قائلاً :

— مطلقاً .

ثم أضاف في سخرية :

— لقد قطعت الطريق من البوابة إلى هنا في هدوء ، على
صهوة جوادى ، حاملاً بندقيتى على كفى ، ورجالكم
يتشرون في كل مكان ، دون أن يسألنى أحدهم عنى أكون
أو أفل ، وكأنى بهم يظنوننى أحدهم .

غمغم الهامى في سُخْط :

— هذا ما عثوه بالتأكيد .

ثم أضاف في غضب :

— لقد حذرتك مرارًا من الاعتماد على المرتزقة يا سيور
(توماس) .

ظن (توماس) يمدق في وجه (أدهم) ويندقته خطرات ،
ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وقال في جدة :

— حسنًا .. ماذا تريد ؟

أجاب (أدهم) ساخراً :

— لقد أسأت الفهم يا (توماس) .. إنني لم آت لأأخذ ،
وإنما لأعطيك .

غشم (توماس) في دهشة :

— تعطيني ماذا ؟

صوب (أدهم) بندقيته إلى رأس (توماس) ، وهو يقول
في برود مفاجئ :

— ما رأيك في رصاصة ؟

تراجع (توماس) بحركة غريزية ، وهو يقول :
— لا .

ثم لم يلبث أن شعر بالضيق مما فعل ، فاعتدل عاقبًا حاجبيه ،
قائلًا في عصية شديدة :

— اسمع يا هذا .. إنني مستعد لدفع أى مبلغ تطلبه .

قال (أدهم) في هدوء :

— إلى أى حد ؟

هتف في تولر :

— سأدفع مائة ألف دولار .. بل ربع مليون دفعة واحدة .

ابسم (أدهم) في سُخْرية ، وقال :

— نرى كم مزرعة يمكن شراؤها بمثل هذا المبلغ ؟

اندفع انهامي يقول في جدة :

— حسنًا .. كم تريد بالضبط .

اعتدل (أدهم) ، وأجاب في صرامة :

— مزرعة (برونكو) .

هتف (توماس) في دهشة :

— ماذا ؟

كرّر (أدهم) في لهجة مخيفة :

— أريد مزرعة (برونكو) .. أريد تعهدًا كتابيًا بعدم

المساس بها ، أو بمالكها .

التفت نظرات (توماس) وانهامي (كال) في خيرة ، ثم

قال (كال) متوترًا :

— اسمع يا سيور (أميجو) .. إننا على أتم استعداد لدفع

أى مبلغ يطلبه سنيور (برونكو) مقابل مزروعة .. سندفع له
ثمنًا مجزيًا ، و

قاطعه (أدهم) في صرامة :

— لا .. إنه سيحفظ بالمزروعة .

بإدلال الاثنان نظرات التوكر مرة أخرى ، ثم قال (كال) :

— الواقع أن هذا أمر عسير ، و

قاطعه (أدهم) مرة أخرى ، في صرامة أشد :

— في هذه الحالة تهدل مضطربًا لقتلكما معًا .

صرخ (توماس) :

— لا .. لن يمكننا التراجع .. أقسم لك .

بدت العبارة محيرة لـ (أدهم) فسأله في حزم :

— لماذا ؟ .. أأنت صاحب الأمر هنا ؟

جفّف (توماس) عرقه في اضطراب ، وهو يقول :

— الواقع أنني لست

رماه الخامس بنظرة نارية ، جعلته يتر عبارته بغتة ،
ويستطرد في توكر :

— لست مستعدًا للتراجع .

لم تخطئ عينا (أدهم) المدرّبتين ما حدث ، وجعلته غريزة
يقول :

— لماذا تحاول إخطاء الأمر أيا الوعد .. من الواضح أنك
لست صاحب الكلمة الأخيرة في هذا الشأن .

ارتبك (توماس) في شدة ، في حين قال (كال) في
عصية :

— ليس لك شأن بهذا .. لقد قدّمت لك عرضًا لشراء

مزروعة (برونكو) بأى سعر ، وهذا كل ما أمالك تقديمه .

ابسم (أدهم) ابتسامة خفيفة ، وهو يقول :

— خطأ يا رجل .. إن لديك الكثير لتقدّمه لي .

ارتسمت على شفّتي (كال) ابتسامة ارتياح مباهجة ، وهو

يقول :

— هكذا ؟ .. يبدو أننا لن نتفق أبدًا يا سنيور (أميجو) .

وفجأة ، التصقت لوجهه سُدس باردة بظهور (أدهم) ،

وارتفع صوت صارم من خلفه يقول :

— هيا يا رجل .. ألق سلاحك ، ما لم ترغب في الرحيل عن

عالمنا بهذه السرعة .. هيا .. إنني لا أتميز بالصبر .

١٠ - واشتعلت النيران ..

من السمات التي يتميز بها (أدهم صبرى) كثرة رجلا لا يحب إضاعة الوقت ، ويكره الاستسلام قانما ..
وعندما التصقت بظهره فؤخة المسدس ، أدرك على الفور أنه لن يستلم ، على الرغم من أنه لم يكن قد استعاد ذاكرته ومعرفته بنفسه ، ويقدر أنه بعد ..
وفجأة ، ومع آخر حروف كلمات الرجل ، تحرك (أدهم) ..

لقد انحنى بسرعة مذهلة ، ودار على عقبيه ، ثم كال للرجل لكمة كالقنبلة في معدته ، وهب واقفا . عندما انشأ الرجل ، وحطم فك هذا الأخير بكعب بندقيته ، وألقاه من النافذة إلى الأرض ..

ولكن هذا كان إيذانا باحتمال النيران ..

لقد رأى رجال (توماس) ما أصاب زميلهم ، عندما هوى من الطابق الثاني إلى الأرض ، فاستلوا أسلحتهم ، واندفعوا نحو المنزل ، في نفس اللحظة التي انتزع فيها المحامي مسدسه من جيبه ، وصرخ :

— سموت أيا اللعين .

ثم أطلق رصاص مسدسه نحو (أدهم) ..
وبحركة غريزية سريعة ، انحنى (أدهم) مضاديا للرصاصة ، ثم أطلق من بندقيته رصاصة أطلقت بمسدس المحامي ، الذي تراجع صارخا في رعب :
— لا .. لا تقننى .

ولى نفس اللحظة التحم الحجرة سبعة من رجال (توماس) ، شاهرين أسلحتهم وغضبهم ..
وصار (أدهم) بين شقي الرخي ..
ما يقرب من ثلاثين رجلا يندفعون إليه من الخارج ..
وسبعة من الداخل ..

ولم يكن هناك مجال للاختيار ..
وبلا تفكير ، قفز (أدهم) داخل الحجرة ، وأطلق نيران بندقيته على رجلين ، قبل أن يقفز خلف مضادة كبيرة ، تلقت عنه رصاصات الخسة الباقين ..

وصرخ (توماس) ، وهو يعلو خارج الحجرة :
— اقلوه .. اقلوه .

ولم يكن الأمر يغني شيئا في الواقع ، فلقد كانت الأسلحة

كلها مصوبة نحو (أدهم) ، الذى أطلق من بندقيته رصاصتين
آخرتين ، أنتزعتا الثين من قائمة حصومه ، قبل أن يبلغ الباقون
النافذة ، ويمطرونه بالرصاصات بدورهم ..
وبدت النجاة فى هذه اللحظة ، أقرب ما تكون إلى
المستحيل ..

ولجأة ، صاح (أدهم)

— كفى .. إننى أستسلم .

توقف انهمار الرصاصات بغية ، وران صمت تام ، وكأنما
حاز الرجال فى هذا الاستسلام المباغت ، أو أنهم ينتظرون رأى
زعيمهم فى هذا الشأن ..

وشق (توماس) الصفوف متهجأ ، وهو يهتف :

— ألقى سلاحك .. ألقى سلاحك ..

ألقى (أدهم) بندقيته غير المائدة ، التى يخشى خلفها ، ثم

بعض واقفاً ، وهو يقول فى هدوء :

— ماهر ذا .

انضمت أوداج (توماس) ، وهتف وهو يتجه نحو

(أدهم) :

— كان هذا أفضل مما فعله يارجل .. لا أحد يمكنه أن

يتحدى (توماس) .



ألقى (أدهم) بندقيته غير المائدة ، التى يخشى خلفها ، ثم نهض واقفاً ..

اجسم (أدهم) في أعماقه ساخرًا ، دون أن تظفر ابتسامته
على وجهه ..

لقد قدر هذا غامًا ..

وأدرك أن (توماس) سيبقى عليه حيًا لو استسلم ..

لقد فهم طبيعة (توماس) السادية المطلقة ، التي تدفعه
إلى الإبقاء على أعدائه ، عندما يضمن سيطرته عليهم ، حتى
يستمتع بإذلالهم أولاً ، قبل أن يوردهم حلفهم ..

وفي الواقع ، كان (توماس) هو وسيلة الوحيدة
للنجاة ..

ولقد ترك (توماس) يقترب منه ، وهو يتابع في زهو :

— كان ينبغي أن تستسلم منذ البداية ، فقد كان هذا خليفًا
بدعني إلى قتلك دون ألم ، أما الآن

فجأة ، فسر (أدهم) من موضعه ، وأحاط عنق
(توماس) بذراعه في قوة ، ثم انتزع المسلس الذي يلفه في
حزامه ، وألفقه برأس هذا الأخير ، قبل أن تبذر من رجاله
حركة واحدة ، وهتف في صرامة :

— خطوة واحدة وأفتر رأس زعيمكم الوجود هذا .

— شخب وجه (توماس) ، وهتف في رعب :

— لا .. لا تفعلوا شيئًا .

وهتف انهامي في غضب :

— كنت أعلم أنه داهية .

اجسم (أدهم) في شخيرة ، وهو يلكز (توماس) بقوة
المسلس ، قائلاً :

— هيا أيها الطفل المطيع ، مَرِّ رجالك بإلقاء أسلحتهم ،
والاستسلام في هدوء .

تخسرح صوت (توماس) ، وهو يقول في خنق :

— ألقوا أسلحتكم .

ألقى الرجال أسلحتهم في سُخط ، وعيونهم تصابع
(أدهم) ، الذي راح يدفع (توماس) أمامه ، قائلاً :

— هيا .. أفسحوا الطريق ، وأعدوا سيارة قوية .

هتف انهامي :

— إنك لن تبعد كثيرًا يا رجل .

أجابه (أدهم) في شخيرة :

— ومن قال إنني أرغب في هذا ؟

واصل دفع (توماس) أمامه ، حتى ركب معه السيارة ،

ثم ضغط دواسرة الوقود في قوة ، فانطلقت به السيارة مبتعدة ،

وضحكته المجلجلة ، تشقى السماء ، واشخاص بلوح بقبضته
غاضبا ، هائلا :

— لن تبعد كثيرا .

وتابع بعصره السيارة ، حتى انحطت في الأفق ، قبل أن
يستطرد في خنق :

— لقد صار (توماس) هذا أسخف مما يُحتمل .

واتجه إلى المنزل ، والرجال يلتفون حوله هائلين :

— ماذا تفعل ؟.. هل تطارده ؟

أجابهم في حدة :

— لا داعي .. لقد انقضت ما يلزم .

وفي المنزل حل سحابة الهاتف ، وقال في حدة :

— أين ذهب (جوزيه) الوغد ؟.. إنني لم أره منذ بدأ

القتال .

أجابه أحد الرجال :

— لقد فقد الوعي ، فور ظهور ذلك الشيطان .

مطُ شفيه ، قائلا في ازدراء :

— لقد الوعي ١٢.. يا للعار !

ثم ضغط أزرار الهاتف ، وانتظر حتى سمع صوتا يجيبه من
الطرف الآخر ، فاصعد في احرام ، وقال :

— كيف حالك ياسيدي ؟.. إنه أنا .. (كال) .. إنني
أتحدث معك بشأن (توماس) .. نعم .. لقد سقط مرة
أخرى ، ولم يقد يصلح لتولي المهمة هنا .. نعم ياسيدي .. أنا
في انتظار أوامرك .

برقت عيناه في ضراة عجيبة ، وهو يستمع إلى محدثه ، ثم
قال :

— بالتأكيد ياسيدي .. سأبذل أقصى جهدي .. شكرا
لك .

وأعاد سحابة الهاتف ، وهو يلتفت إلى الرجال ، قائلا :

— الآن يحكمكم الانطلاق لصبح السيارة .

سأله أحدهم :

— هل نطلق النار على (أميجو) مباشرة ؟

برقت عيناه مرة أخرى ، وهو يقول :

— بل على الاثنين .. لقد أثبت الأوامر الجديدة ، ولم يقد .

(توماس) زعيما .

سأله الرجل في دهشة :

— من الزعيم إذن ؟

بدت عيناه ككتلين من اللهب ، وهو يجيب في زهو :

— أنا ..

لم يكذب (أدهم) يتجاوز سلسلة جبلية قصيرة ، حتى أوقف
سيارته ، وهو يلصق إلى (توماس) ، قائلاً :

— والآن يا عزيزي (توماس) ، فلنبداً حديثنا الطويل .
ارتجف (توماس) في رعب ، وهو يحدق في قوّة المسدس
المصوّبة إليه ، قائلاً :

— ماذا تريد مني ؟

أجابه (أدهم) :

— كل ما لديك يا (توماس) .. كل ما لديك .. أريد أن
أعلم لماذا تسعى لشراء كل أراضى (كيواوا) ، ولحساب من
تعمل ، ومن زعيم كل هذه اللعبة .

تخبط وجه (توماس) في شدة ، وهو يقول :

— لن يمكننى أن أخبرك .. سيقتلونى لو فعلت !

جذب (أدهم) إبرة مسدسه ، وهو يقول في صرامة :

— وسأقتلك أنا لو لم تفعل .. ماذا تختار ؟

بكى (توماس) من شدة رعبه ، وهو يقول :

— الرّاحة !! الرّاحة !!

ثم هتف في مرارة :

— لماذا تسعى لمعرفة كل هذا ؟ .. إنه لن يفيدك شيئاً .

كان هذا السؤال مخيراً لـ (أدهم) حقاً ..

لماذا يسعى إلى المعرفة ؟ ..

لم يكن يدرك لحظة أن السعى وراء المعرفة هو مهنته ، وأن
غريزته تقوده إلى فعل ما يفعل ، دون أن يدرك هو نفسه لماذا ..

كان رجلاً فقد ذاكرته ..

ولكنه لم يفقد نفسه ..

ولى حزم عتيد ، أجاب :

— لا شأن لك بأساى ، ستجيب أسئلتى فحسب .

ارتجف (توماس) في شدة ، وهو يقول :

— لا .. أرجوك .

صاح (أدهم) في غضب :

— أجب يا رجل .. أجب وإلا فبُحِرت رأسك

برصاصات .

قال (توماس) مضطرباً :

— وهل تملأ بكتان الأمر ؟ .. أغنى هل يمكنك أن تخلى

عنيمن أنى أخبرتك ؟

أجابه في حزم :

— أعدك .

شهد (توماس) في ارتياح ، واسترخى في مقعده ، وكأنما
انزاح حمل ثقيل عن نفسه ، وهو يقول :

— حسناً ، ما الذي تريد معرفته ؟

سأله (أدهم) :

— أريد أولاً معرفة سبب شراء الأرض كلها .

زفر (توماس) في قوة ، وقال :

— اليورانيوم .

كرّر (أدهم) في دهشة :

— اليورانيوم ؟

لوح (توماس) بيده ، مشيراً إلى الأراضي المنبسطة أمامه ،

وهو يقول في تولّر :

— نعم يا رجل .. اليورانيوم .. كل هذه الأرض التي تراها

أمامك تسبح فوق اليورانيوم ، ذلك العنصر الذي دفع العالم

إلى الأمام ، وانضم به عصر الذرة .. تلك المادة التي تعدّ البنية

الأولى في كل تفجير ذريّ .

غمغم (أدهم) في اهتمام :

— التفجير الذريّ يحتاج إلى البلوتونيوم يا رجل .

هزّ (توماس) كتفيه ، قائلاً :

— ربّما .. لست أدرك شيئاً في هذه التعقيدات العلمية ،

ولكنني أعلم أن أرض (كيووا) تساوي مليارات الجنيهات ،

وأن من يملكها سيصبح أقوى رجل في العالم ، والمنظمة التي

أعمل لحسابها متعلّكها عما قريب ، ومستخدّم اليورانيوم

الموجود لصنع أقوى الأسلحة النووية ، كخطوة أولى في سبيل

السيطرة على العالم أجمع .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

— أية منظمة تلك ؟

أجابته (توماس) :

— ربما لم تسمع باسمها أبداً من قبل ، ولكنها أقوى منظمة

في العالم كله ..

منظمة (سكوريون) ..



دوى الاسم في رأس (أدهم) ، وتردد داخله في غثف ..
(سكوريون) .. العقرب .. العقارب ..
بدا الاسم مألوفاً بشدة في ذهنه ، إنه لم يجد صعوبة في
استيعاب ما يرمز إليه ، إلا أنه لم يذكر أبداً متى سمع به أو
عليه ..

وفي خيرة ، ردّد :

(سكوريون) ١٩

أجابه (توماس) :

— نعم .. إنها واحدة من أقوى منظمات العالم ، في أعباء
الجناسوسية ، ولها عشرات الأفرع ، في كل مكان في العالم ،
ومنذ عام أو يزيد ، راحت المنظمة تبنى عشرات المفاعلات
الذرية ، في أماكن خفية من العالم ، واستقطبت مئات العلماء
البازين في هذا المجال ، بهدف البدء في تصنيع كم من الأسلحة
النوية ، بكلل للمنظمة القوة المطلقة ، وجعلها في مصاف
القوى العظمى .

ثم لَوَحَ بذراعه ، هاتفاً :

— وواجهتها مشكلتان .. المكان والحامات .

وابتسم وكأنما نسي حقيقة موقفه ، وهو يستطرد في زهو :
— وانهمك العلماء في أبحاثهم ودراساتهم ، حتى توصّلوا
إلى الحقيقة ، التي تقول إن (كيواوا) هي أفضل مكان في العالم
بالنسبة لنا ، فهي واسعة ، منبسطة ، تحيط بها سلاسل جبال
قوية ، تجعل منها وكراً مناسباً مثالياً ، ثم إن أرضها تحوى كمية
رهية من اليورانيوم ، الذي نحتاج إليه .

وحارب مقعده بقبحته ، مستطرداً :

— وكان من الضروري أن نمتلك (كيواوا) ، مهما كان

الثمن .

قال (أدهم) :

— حتى ولو قتلهم أصحاب الأرض ؟

أجابه في انفعال :

— حتى ولو أهدانا الحكومة المكسيكية نفسها .

والجمت عيناه في جُثُون ، وهو يبتف :

— إنها القوة .. ألا تفهم ؟ .. القوة المطلقة .

قال (أدهم) في غضب :

— أدم مجانين .. جفنة من المجانين .

انطلق (توماس) يهتفه في جثون ، وهو يقول :

— بل نحن الأقوي يا رجل .. نحن الأعظم .

ولجأة برقت عيناه ، وهو يشير إلى بقعة من الغبار ، تقرب
من بعيد ، وقال :

— لقد وصل الرجال .

أدار (أدم) عينيه إلى حيث أشار (توماس) ، ورأى
قافلة سيارات تقرب ، فقال في حزم :

— فليأتوا .

ثم التصق لؤؤه مسدسه برأس (توماس) ، مستطردًا :

— ما زلت أملك زعيمهم .

توثر (توماس) ، وهو يقول :

— ولكن لماذا انطلقوا علفنا ؟

قال (أدم) ساعزًا :

— ربما يحشون فقدك يا أمير الأحلام .

عقد (توماس) حاجبيه ، ولم ينسب شكًا ، وهو يتابع .

اقتراب قافلة السيارات ، في حين يقف (أدم) هادئًا ، وهو
يتطلع إلى القافلة بدورة ، ويلصق مسدسه برأس (توماس) ،

حي اقتربت القافلة كثيرًا ، فهتف (أدم) :

— لا تقربوا ، وإلا فنجرت رأس زعيمكم .

أدهشه أن رأى أحد الرجال يصوب إليه مدفعه ، فهتف
مستطردًا :

— إنني أحذركم .

أما (توماس) فقد شعر بكثير من الدعر والقلق ، وهو
يتطلع إلى عيني الرجل ، الذي يصوب المدفع ، وعمهم في
اضطراب :

— عجبًا .. ليس من المنطقي أن

ولجأة ، أدرك كل شيء ..

التجست الحقيقة في ذهنه بومضة خاطفة ..

رُما لأنه يدرك حقيقة المنظمة ، التي يعمل لحسابها .

يدرك قوتها ..

وقسوتها ..

وغدرها ..

وبكل الرعب ، صرخ (توماس) :

— لا .. لا ..

وانطلقت رصاصة الرجل ..

واحترقت رأس (توماس) ، الذى سقط جثة هامدة على
الفور ..

وهنا أدرك (أدهم) حقيقة الأمر ..
لقد سقط درعه ، وصار عليه أن يواجه جيشاً كاملاً ..
وحده ..

[انتهى الجزء الأول بمحمد الله ، ويليهِ الجزء الثانى]

(الأخطبوط)

رقم الإيداع : ٣٦٦٩



د. نيل فاروق

الرجل الأخير

- ترى ماذا تفعل المخابرات المصرية بعد مصرع (أدهم صبرى) ؟ ..؟
- هل يمكن إعداد بديل لـ (رجل المتحيل) ؟ ..؟
- اقرأ الرواية هذه المرة بصوتك أكبر ، لتواجهك حقًا مفاجأة ..

رجل
المتحيل
بليلة
روايات
بوليسية
للكتاب
زائفة
بالأحداث
المثيرة



اللعن في مصر

وما يملكه بالدولار
الأمريكي في مائتي
الدول العربية
والعالم

العدد القادم : الأخطبوط